مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد(١٢)، العدد(٥)، ص ص ٣٥٢٢- ٣٥٨٩ (شعبان ١٤٤٠هـ / مايو ٢٠١٩م)

الأَعراب في القرآن الكريم "دراسة موضوعية"

د. محسن سميح الخالدي

أستاذ التفسير المشارك بكليتي الشريعة والدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية-نابلس/ فلسطين

أ. محمد وصفي جلاد

الباحث في التفسير وعلوم القرآن الكريم

ملخص البحث:

تختص هذه الدراسة بموضوع الأَعراب في القرآن الكريم، فبعد أن تطرقت الدراسة لتعريفهم لغة واصطلاحًا، تناولت تصنيف القرآن لهم؛ بين مؤمن، ومنافق، وكافر، ثم تناولت الدراسة صفاتهم في القرآن الكريم، والتي لم تقتصر على الذم، وإنما جاء جزء كبير منها في مدح مؤمني الأَعراب والصالحين منهم.

وركّزت الدراسة على منهجية القرآن الكريم في تربية الأَعراب وتصحيح أخطائهم، ثم نَقْلِهم من حياة البداوة والانعزال في الصحراء، إلى الاندماج في المجتمع المؤمن، والإفادة منهم في الانبعاث الحضاري الإسلامي.

وهدفت الدراسة إلى توظيف منهج القرآن الكريم في التعامل مع الأعراب على واقعنا المعاصر، حيث بالإمكان الاستفادة منه في المجال التربوي والدعوي والإصلاحي، خاصة مع وجود كثير من صفات الأَعراب المذمومة، عند كثير من أهل الحضر في الوقت الحاضر.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد(١٢)، العدد(٥)، ص ص ٣٥٢٢- ٣٥٨٩ (شعبان ١٤٤٠هـ / مايو ٢٠١٩م)

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فقد تعددتْ وجوه الجمال والكمال والجلال والإعجاز في القرآن الكريم، ففيه من روعة البيان ما أخذ بألباب أهل اللغة واللسان، وفيه من أنباء الغيب ما يشهد بصدقه على مر الزمان، وفيه من حكمة التشريع ما يسمو على كل المناهج الأرضية بمنازل ودرجات، وفيه من العلم آيات رآها الناس في الآفاق وفي أنفسهم، فتَبَيَّن لهم أنه الحق.

ولو نظرنا لصُنْعِ القرآن في العرب والأَعراب وأثره فيهم، وكيف أخرجهم من ظلمات الجاهلية إلى نور الإسلام، وكيف صنع منهم أمة واحدة بعدما كانت مزقًا مُشَتَّتة، وكيف جاء بهم من البدو من بعد ما كانوا أُمَّة أُمِّيَّة، حتى صاروا منارًا للحضارة والمدنية، في بعث حضاري عجيب وسريع وملفت، أدهش علماء التاريخ والحضارات، **وهو بعث يشهد للإعجاز التأثيري للقرآن الكريم، فما كان لشيء أن يحرك تلك الأمة الساكنة القابعة في غياهب الصحراء، سوى ذلك الكتاب السماوي المعجز.**

وتأتي هذه الدراسة لتتناول موضوع الأَعراب في القرآن الكريم، والذين كانوا جزءًا من الأمَّة التي صنع فيها القرآن ذلك التغيير الضخم، فتستقرئ ما في القرآن من آيات عن الأَعراب، ثم تتناولها بالدرس والتحليل والاستنباط، للوقوف على طبيعة أولئك القوم، وعلى منهجية القرآن الكريم في التعامل معهم، وطريقته في تغيير السيء من طباعهم، وتقويم المذموم من سلوكهم، إلى أن أشركهم في البعث الحضاري الإسلامي.

مشكلة البحث:

١- من هم الأعراب؟
٢- ما هي مشكلة الأعراب التي جاء القرآن الكريم لمعالجتها؟
٣- هل البيئة التي يعيشها الأَعراب لها أثر في تكوين شخصياتهم وتشكيل سلوكهم وطباعهم؟
٤- ما هي الصفات التي ذمها القرآن الكريم في الأَعراب، وفي المقابل ما هي الصفات التي مدحها فيهم؟

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد(١٢)، العدد(٥)، ص ص ٣٥٢٢- ٣٥٨٩ (شعبان ١٤٤٠هـ / مايو ٢٠١٩م)

٥- ماهي الأساليب والوسائل التي استخدمها القرآن الكريم في التعامل مع الأعراب؟

٦- ما الفوائد والدروس التي يمكن الاستفادة منها في واقعنا المعاصر من خلال الوقوف على المنهج القرآني في التعامل مع الأعراب؟

منهج البحث:

يقتضي التأصيل لهذه الدراسة اتباع عدة منهجيات بحثية، وهي:

١- المنهج الاستقرائي: لاستقصاء جميع الآيات المتعلقة بالأَعراب، سواءً التي جاء فيها لفظ الأَعراب صريحًا، أو التي نزلت في شأنهم وإن لم يرد فيها لفظ الأَعراب صراحة.

٢- المنهج الوصفي: لإبراز صورة الأَعراب كما عرضها القرآن الكريم.

٣- المنهج التحليلي: لاستنباط منهجية القرآن في التعامل مع الأَعراب، وأساليبه في معالجة أخطائهم، ثم إسقاط ذلك وربطه بواقعنا المعاصر.

الدراسات السابقة:

من الدراسات السابقة في مجال هذا البحث دراسة بعنوان: (دَعْوَةُ النّبيّ صلى الله عليه وسلم للأعْرَاب. الموضوع – الوَسِيلَة – الأُسلوب، إعداد: حمود بن جابر الحارثي)، وهي رسالة علميّة لنيل درجة الماجستير من جامعَة الإمام محمّد بن سعود الإسلاميّة، وهي دراسة هامة، وكان تناول الباحث لموضوعها من خلال السنة المشرفة أظهر وأبين، أما هذه الدراسة فهي متخصصة بالقرآن الكريم. وثمة مقالات كثيرة على شبكة المعلومات ولكنها لا ترقى لدرجة البحث العلمي.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد(١٢)، العدد(٥)، ص ص ٣٥٢٢- ٣٥٨٩ (شعبان ١٤٤٠هـ / مايو ٢٠١٩م)

خطة البحث:

تناولت هذه الدراسة موضوع الأَعراب في القرآن الكريم، وذلك في تمهيد وثلاثة مباحث، على النحو الآتي:

التمهيد: مفهوم لفظ الأعراب، وروده في القرآن الكريم.

المبحث الأول: أصناف الأَعراب في القرآن الكريم.

المبحث الثاني: صفات الأَعراب كما عرضها القرآن الكريم.

المبحث الثالث: منهجية القرآن الكريم في التعامل مع الأعراب، وأثر ذلك في واقعنا المعاصر.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات.

والله تعالى نسأل التوفيق والسداد والرشاد، وأن يجعل هذا الجهد مدّخرًا لنا عنده يوم نلقاه.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد(١٢)، العدد(٥)، ص ص ٣٥٢٢- ٣٥٨٩ (شعبان ١٤٤٠هـ / مايو ٢٠١٩م)

تمهيد: مفهوم لفظ الأعراب، وروده في القرآن الكريم.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الأَعراب في اللغة:

قال ابن فارس: "العين والراء والباء أصول ثلاثة: أحدها الإنابة والإفصاح، والآخر النشاط وطيب النفس، والثالث فساد في جسم أو عضو"(١)، والعرب جيل من الناس(٢)، والخُلَّص منهم يسمون عربًا عاربة، أما غير الخُلص – الدخلاء- فيُسمون عربًا مستعربة(٣)، أما الأَعراب: فهم من سكن البادية من العرب(٤)، وحتى لو انتقل البدوي إلى الحضر فيظل اسمه أَعرابيًا(٥).

فلفظ الأَعراب متعلق بالبداوة، أو بمن سكن البادية وصار طبعه البداوة وإن انتقل عنها، وقد شرح ابن منظور تعريف الأَعرابي فقال: "أَعرابي إذا كان بدويًا صاحب نجعة وانتواء، وارتياد للكلأ، وتتبع لمساقط الغيث، وسواء كان من العرب أو مواليهم... وسواء منهم الناشئ بالبدو ثم استوطن القرى... والأَعراب ساكنو البادية من العرب الذين لا يقيمون في الأمصار، ولا يدخلونها إلا لحاجة"(٦)، والجماعة منهم "أعاريب"(٧).

---

(١) ابن فارس: **مقاييس اللغة**. ج٤. ص٢٩٩.
(٢) انظر الجوهري: **تاج اللغة وصحاح العربية**. ج١. ص١٧٨-١٧٩. وابن منظور: **لسان العرب**. ج١. ص ٥٨٦.
(٣) انظر الفراهيدي: **كتاب العين**. ج٢. ص ١٢٨. والرازي: **مختار الصحاح**. ص٢٠٤. وابن منظور: **لسان العرب**. ج١. ص٥٨٦.
(٤) انظر الجوهري: **تاج اللغة وصحاح العربية**. ج١. ص١٧٨. وابن منظور: **لسان العرب**. ج١. ص٥٨٧.
(٥) انظر العسكري: **معجم الفروق اللغوية**. ص٥٨.
(٦) انظر ابن منظور: **لسان العرب**. ج١. ص٥٨٦-٥٨٧.
(٧) الفراهيدي: **كتاب العين**. ج٢. ص١٢٨.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد(١٢)، العدد(٥)، ص ص ٣٥٢٢- ٣٥٨٩ (شعبان ١٤٤٠هـ / مايو ٢٠١٩م)

المطلب الثاني: الأَعراب في الاصطلاح:

يبدو أن التعريف الاصطلاحي للأَعراب لا يختلف شيئًا عن التعريف اللغوي، قال الأصفهاني: "والأَعرابي في التعارف صار اسمًا للمنسوبين إلى سكان البادية"(٨)، وبنحوه قال الكفوي(٩).

وقد عرفه الجرجاني أنه: "الجاهل من العرب"(١٠)، **ويظهر أن تعريفه ليس جامعًا ولا مانعًا**، فكم من عربيّ جاهل، وهو مقيم في حاضرة؟! ويبدو أن الجرجاني عرَّفهم بما غلب على وصف كثير من الأَعراب.

وكذا في كتب التفسير، فإننا نجد تعريف الأَعراب عندهم أنهم أهل البادية، ولم يختلف مضمون ما قاله المفسرون عما قالته كتب المعاجم واللغة، بل يظهر أن بعضهم نقل عن بعض.

ومما جاء في تعريف مصطلح "الأَعراب" عند أهل التفسير، قول الطبري: "الأَعراب... جمع أَعرابيّ، وواحد العرب عربيّ، وإنما قيل: أَعرابيّ لأهل البدو، فرقًا بين أهل البوادي والأمصار، فجعل الأَعراب لأهل البادية، والعرب لأهل المصر"(١١)، وقال الرازي: "رجل أَعرابي، بالألف إذا كان بدويًا، يطلب مساقط الغيث والكلأ، سواء كان من العرب أو من مواليهم... فمن استوطن القرى العربية فهم عرب، ومن نزل البادية فهم أَعراب"(١٢).

وقد اتفقتْ كلمة سائر المفسرين –فيما تم الاطلاع عليه– على تعريف الأَعرابي بالبدوي أو الذي يسكن البادية(١٣).

---

(٨) الأصفهاني: **المفردات في غريب القرآن**. ص٥٥٧.

(٩) انظر الكفوي: **الكليات**. ص٦٤١.

(١٠) الجرجاني، علي بن محمد بن علي: **التعريفات**. تحقيق: مجموعة من العلماء. دار الكتب العلمية– بيروت. (ط١) ١٤٠٣هـ. ص٣١.

(١١) الطبري: **جامع البيان في تأويل القرآن**. ج٢٠، ص٢٣٤.

(١٢) الرازي: **مفاتيح الغيب**. ج١٦، ص١٢٥.

(١٣) انظر الثعلبي: **الكشف والبيان عن تفسير القرآن**. ج٦، ص٤٤. والسمعاني: **تفسير القرآن**. ج٢، ص٣٣٧. والبغوي: **معالم التنزيل في**
==

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد(١٢)، العدد(٥)، ص ص ٣٥٢٢- ٣٥٨٩ (شعبان ١٤٤٠هـ / مايو ٢٠١٩م)

أما شُرَّاح الحديث من علماء السنة، فبالإمكان استنتاج تعريفهم لمصطلح الأَعراب من خلال تعريفهم لمصطلح التَّعَرُّب، إذ لم نجد عندهم -بحدود الاطلاع- تعريفًا مستقلًا للأَعراب، وقد عرف ابن حجر التَّعَرُّب بأنه: "السُّكنى مع الأَعراب -بفتح الألف- وهو أن ينتقل المهاجر من البلد التي هاجر منها، فيسكن البدو فيرجع بعد هجرته أَعرابيًا، وكان إذ ذاك محرمًا، إلَّا إنْ أذن له الشارع في ذلك، وقيَّده بالفتنة"(١٤)، وما ذكره ابن حجر يوافق ما ذكره شُراح الحديث قبله وبعده(١٥).

والخلاصة أن الأَعراب هم من سكن البادية من العرب، ولا فرق في تعريف الأَعراب بين اللغة والاصطلاح، وقد أشار القرآن الكريم إلى أن البداوة وسُكنى البادية هي الوصف الملازم للأعراب، وذلك في قوله تعالى: ﴿**وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الأَعراب يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُم**﴾ [الأحزاب: ٢٠]، قال الطبري: "بدا فلان إذا صار في البدو فهو يبدو، وهو باد"(١٦)، والمعنى: يرغب هؤلاء المنافقون، في حال اجتماع الأحزاب على المدينة، لو أنهم هجروا المدينة وأقاموا في البادية(١٧) كالأَعراب.

أما لفظ (عربي)، فهو يختلف عن مصطلح (أَعرابي) الذي يعالجه هذا المطلب، فعربي هو ما يُنسب إلى العرب الذين هم جيل من الناس(١٨)، وقد ورد لفظ (عربي) في القرآن الكريم إحدى عشرة مرة، وجاءت كلها في وصف لغة القرآن، وأنه نزل بلسان العرب، الذي هو أفصح الألسنة وأبينها.

تفسير القرآن. ج٣، ص٩٧. والقرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**. ج٨. ص٢٣٣. وغيرهم.

(١٤) ابن حجر: **فتح الباري شرح صحيح البخاري**. ج١٣، ص٤١.

(١٥) انظر ابن بطال: **شرح صحيح البخاري**. ج١٠، ص٤٠. وابن قُرْقُول: **مطالع الأنوار على صحاح الآثار**. ج٤، ص٣٩٨. والعيني: **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**. ج٢٤، ص١٩٧. وابن الملقن: **التوضيح لشرح الجامع الصحيح**. ج٣٢، ص٣٤٧.

(١٦) الطبري: **جامع البيان في تأويل القرآن**. ج٢٠، ص٢٣٤.

(١٧) انظر الزجاج: **معاني القرآن وإعرابه**. ج٤، ص٢٢٤. والسمرقندي: **بحر العلوم**. ج٣، ص٥٣. والواحدي: **الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**. ص٨٦١.

(١٨) انظر الجوهري: **تاج اللغة وصحاح العربية**. ج١. ص١٧٨.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد(١٢)، العدد(٥)، ص ص ٣٥٢٢- ٣٥٨٩ (شعبان ١٤٤٠هـ / مايو ٢٠١٩م)

المطلب الثالث: ورود لفظ الأَعراب في القرآن الكريم:

لا يوجد في القرآن الكريم –بحدود استقراء الباحثين– مفردات أخرى أتتْ بمعنى الأَعراب سوى لفظ "البدو"، وذلك في قول يوسف عليه السلام لأبيه وإخوته في معرض شكر الله: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ﴾ [يوسف: ١٠٠].

أما بخصوص المعاني التي يأتي عليها لفظ الأَعراب في القرآن، فلم يستخدم القرآن –بحسب استقراء هذه الدراسة– لفظ الأَعراب لغير معنى البداوة.

أما من حيث الآيات التي تتحدث عن الأَعراب فهي على النحو الآتي:

الآيات التي جاء فيها لفظ الأَعراب صراحة		
١	﴿وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الأَعراب لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾	[التوبة: ٩٠]
٢	﴿الأَعراب أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ﴾	[التوبة: ٩٧]
٣	﴿وَمِنَ الأَعراب مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ﴾	[التوبة: ٩٨]
٤	﴿وَمِنَ الأَعراب مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرُبَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ﴾	[التوبة: ٩٩]
٥	﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الأَعراب مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ﴾	[التوبة:١٠١]
٦	﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الأَعراب أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ﴾	[التوبة:١٢٠]

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد(١٢)، العدد(٥)، ص ص ٣٥٢٢- ٣٥٨٩ (شعبان ١٤٤٠هـ / مايو ٢٠١٩م)

٧	﴿ يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الأَعراب ﴾	[الأحزاب: ٢٠]
٨	﴿ سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الأَعراب شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا ﴾	[الفتح: ١١]
٩	﴿ قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الأَعراب سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُون ﴾	[الفتح: ١٦]
١٠	﴿ قَالَتِ الأَعراب آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ﴾	[الحجرات:١٤]
الآيات التي تتحدث عن الأَعراب تحديدًا، ولم يرد فيها لفظ الأَعراب (وذلك بحسب ما ورد في شأنها من روايات في سبب النزول، أو من أقوال أئمة التفسير)[١٩]		
١١	﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ ﴾	[الحج: ١١]
١٢	﴿ بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾	[الفتح: ١٢ - ١٥]
١٣	﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُون ، وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾	[الحجرات: ٤،٥]

(١٩) سيأتي ذكر الروايات وأقوال المفسرين التي تثبت نزول كل من هذه الآيات في الأَعراب، عند تناول كل منها في مطلبها.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد(١٢)، العدد(٥)، ص ص ٣٥٢٢- ٣٥٨٩ (شعبان ١٤٤٠هـ / مايو ٢٠١٩م)

١٤	﴿قُلْ أَتُعَلِّمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾	[الحجرات: ١٦، ١٧]
الآيات التي يُحتمل أنها تتحدث عن الأَعراب بحسب رأي بعض المفسرين		
١٥	﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾	[الأنفال: ٧٢]
١٦	﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ﴾	[التوبة: ٩٢]
١٧	﴿يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾	[التوبة: ٩٦]
١٨	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾	[الحجرات: ٢]

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد(١٢)، العدد(٥)، ص ص ٣٥٢٢- ٣٥٨٩ (شعبان ١٤٤٠هـ / مايو ٢٠١٩م)

ويلاحظ في ورود آيات الأَعراب في القرآن الكريم، ما يأتي:

- تكرر لفظ "الأَعراب" في القرآن الكريم عشر مرات.
- لم يأت لفظ "الأَعراب" ولا الحديث عنهم إلا في السور المدنية.
- تكرر لفظ الأَعراب ست مرات في سورة التوبة، ومرة واحدة في سورة الأحزاب، ومرتين في سورة الفتح، ومرة واحدة في سورة الحجرات.
- تسع آيات من ضمن الآيات التي جاء فيها لفظ الأَعراب، قُصد فيها الأَعراب، والعاشرة جاء فيها لفظ الأَعراب، لكن المقصود فيها المنافقون من أهل المدينة، وهي آية الأحزاب: ﴿وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادونَ فِي الأَعراب يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُم﴾ [الأحزاب: ٢٠].

المبحث الأول: أصناف الأَعراب في القرآن الكريم

لم يكن موقف الأَعراب جميعهم من دعوة الإسلام واحدًا، -شأنهم في ذلك شأن سائر أصناف الناس-، فقد وقف بعض الأَعراب موقف العداء للدين إما صراحة أو بالخفاء، فكان فيهم الكافر والمنافق، ومن الأَعراب من آمن بدعوة الإسلام، فكان منهم من حسُن إيمانه، وكان منهم من خلط عملًا صالحًا وآخر سيئًا، وكان منهم من وقف على أولى عتبات الإسلام ولما يدخل الإيمان قلبَه.

وفي هذا المبحث عرض لأصناف الأَعراب في القرآن الكريم، في مطلبين اثنين.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد(١٢)، العدد(٥)، ص ص ٣٥٢٢- ٣٥٨٩ (شعبان ١٤٤٠هـ / مايو ٢٠١٩م)

المطلب الأول: المؤمنون من الأَعراب.

امتدح القرآن طائفة من الأَعراب، وأثنى عليهم، ووعدهم بجزيل العطاء والمثوبة، فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَمِنَ الأَعراب مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرُبَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ٩٩].

والآية تعرض رغبة هؤلاء الأَعراب بالفوز بدعاء الرسول ﷺ، وصلاته عليهم، مع رغبتهم بالتقرب إلى الله، وهو ما يشير لمخالطة الإيمان بشاشة قلوبهم، قال الطبري: "ويبتغي بنفقة ما ينفق، مع طلب قربته من الله، دعاءَ الرسول واستغفارَه له"(٢٠)، وقد طمعوا بذلك لعلمهم أن الرسول ﷺ كان يدعو لمن يتصدق، فعن عبد الله بن أبي أوفى، قال: كان النبي ﷺ إذا أتاه قوم بصدقتهم، قال: "اللهم صل على آل فلان"، فأتاه أبي بصدقته، فقال: «اللهم صل على آل أبي أوفى"(٢١).

وجاءت آية أخرى تذكر إسلام بعض الأَعراب ظاهرًا: ﴿قَالَتِ الأَعراب آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات: ١٤] وما يشير للصنف المؤمن هو كلمة (لما)، فهي تشير لاحتمال دخول الإيمان قلوبهم قريبًا، قال الرازي: "ويحتمل أن يُقال بأن الآية فيها إشارة إلى حال المؤلفة إذا أسلموا، ويكون إيمانهم بعده ضعيفًا، قال لهم: لم تؤمنوا؛ لأن الإيمان إيقان، وذلك بعد لم يدخل في قلوبكم، وسيدخل باطلاعكم على محاسن

---

(٢٠) الطبري: **جامع البيان في تأويل القرآن**. ج١٤، ص٤٣٢.

(٢١) متفق عليه. البخاري: **صحيح البخاري**. كتاب الزكاة. باب صلاة الإمام ودعائه لصاحب الصدقة. ج٢، ص١٢٩. حديث رقم: ١٤٩٧. ومسلم: **صحيح مسلم**. كتاب الزكاة. باب الدعاء لمن أتى بصدقة. ج٢، ص٧٥٦. حديث رقم: ١٠٧٨.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد(١٢)، العدد(٥)، ص ص ٣٥٢٢- ٣٥٨٩ (شعبان ١٤٤٠هـ / مايو ٢٠١٩م)

الإسلام"[٢٢]، وقال النيسابوري: "وفيه فائدة زائدة هي: أن يعلم أن الإيمان متوقع منهم لأن «لما» حرف فيه توقع وانتظار"[٢٣].

والآيتان السابقتان صريحتان في ذكر هذا الصنف من الأَعراب، وهناك آيات أخرى يُحتمل أنها قصدتْ أَعرابًا مؤمنين بحسب ما فسرها بعض أهل التفسير، منها:

قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الأَعراب لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[التوبة: ٩٠] وقد اختُلف في صدق أعذارهم أو كذبها؟، وهل هم مؤمنون أم منافقون؟، ونُقِلَتْ أقوال المفسرين في كلا الاحتمالين[٢٤]، لكن السياق يُرجح أنهم كانوا مؤمنين وصادقين بعذرهم، بدلالة سياق الآية، قال الرازي: "**المعذرون كانوا صادقين بدليل أنه تعالى لما ذكرهم قال بعدهم: ﴿وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾**[التوبة: ٩٠]، **فلما ميزهم عن الكاذبين دلَّ ذلك على أنهم ليسوا بكاذبين**"[٢٥]، فالمقابلة بين صنف (المعذرين)، وصنف (الذين كذبوا)، تدل على أن (المعذرين) كانوا صادقين[٢٦].

---

(٢٢) الرازي: **مفاتيح الغيب**. ج٢٨، ص١١٦.

(٢٣) النيسابوري: **غرائب القرآن ورغائب الفرقان**. ج٦، ص١٦٩.

(٢٤) انظر الطبري: **جامع البيان في تأويل القرآن**. ج١٤، ص٤١٦-٤١٧. ابن أبي حاتم: **تفسير ابن أبي حاتم**. ج٦، ص١٨٦٠. ابن عطية: **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**. ج٣، ص٦٩.

(٢٥) الرازي: **مفاتيح الغيب**. ج١٦. ص١٢٠.

(٢٦) انظر ابن عاشور: **التحرير والتنوير**. ج١٠. ص٢٩٢.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد(١٢)، العدد(٥)، ص ص ٣٥٢٢- ٣٥٨٩ (شعبان ١٤٤٠هـ / مايو ٢٠١٩م)

وأيضًا قول الله عز وجل: ﴿وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة:١٠٢]، فقد ذكر المفسرون في تعيين المقصودين بها عدة وجوه، منها أنهم طائفة من الأَعراب(٢٧).

ويلاحظ أن المؤمنين من الأَعراب –كما هو شأن غيرهم من الأقوام– على درجات متفاوتة من قوة الإيمان؛ فمنهم من صدق في إيمانه، وأنفق طمعًا في القربات وصلوات الرسول، ومنهم دون ذلك بمفاوز، كالذين اعتذروا عن الخروج، وكالذين قالوا: أسلمنا، ولما يدخل الإيمان قلوبَهم.

المطلب الثاني: المنافقون من الأَعراب والكافرون منهم.

استغرق الحديث عن منافقي الأَعراب الجزء الأكبر من آيات القرآن، ولذا فإن ملاحظة هذا الصنف من الأَعراب سهل وواضح، ويكفي التمثيل لهذا الصنف بقوله عز وجل: ﴿الأَعراب أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا﴾ [التوبة: ٩٧] وبقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الأَعراب مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ﴾ [التوبة: ١٠١] ويظهر من هذه الآيات أن: "الكفر والنفاق فيهم أكثر منه في غيرهم... وأن الكفر والنفاق فيهم أشد وأغلظ منه في غيرهم؛ لأنهم أجفى طباعاً وأغلظ قلوبًا"(٢٨) "وأقل ذوقًا وآدابًا"(٢٩).

وفضلًا عن تلك الآيات التي ذكرتْ نفاقهم صراحة، هناك آيات أخرى لم تُسمهم بلفظ النفاق، ولكنها وصفتهم بأوصاف المنافقين، وفضحتْ نفاقهم وكشفتهم، كالآيات التي ذكرت جبنهم عن الخروج للقتال وتَعَلُّلَهم بأعذار كاذبة،

---

(٢٧) انظر الطبري: **جامع البيان في تأويل القرآن**. ج١٤. ص٤٥٢. وابن أبي حاتم: **تفسير ابن أبي حاتم**. ج٦، ص١٨٦٠.
(٢٨) الماوردي: **النكت والعيون**. ج٢. ص٣٩٣.
(٢٩) رضا: **تفسير المنار**. ج١١. ص٧.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد(١٢)، العدد(٥)، ص ص ٣٥٢٢- ٣٥٨٩ (شعبان ١٤٤٠هـ / مايو ٢٠١٩م)

وكالآيات التي ذكرتْ تمنيهم السوء برسول الله ومن معه، والآيات التي صرحتْ بأنهم يقولون بألسنتهم خلاف ما في قلوبهم، وتفصيل هذا كله يأتي في بعض مطالب المبحث القادم.

المبحث الثاني: صفات الأَعراب كما عرضها القرآن

المطلب الأول: الصفات التي ذمها القرآن في بعض الأَعراب.

لقد كان لطبيعة عيش الأَعراب في البادية أثر بارز في صفاتهم وأخلاقهم، ويبدو أن شدة جوِّ الصحراء جَبَلَتْهم على الشدة، واستمرار تَتَبُّعهم مواضع الكلأ والماء، جعلهم ينفرون من التزام مكان محدد، وتَشَتُّتهم في أطراف الصحراء بدون سلطان يجمعهم –سوى كبير القبيلة–، جعلهم يميلون للتَّفَرُّد والنفور من النظام والجماعة، وقلةُ اختلاطهم بالناس وأهل الحضر، جعلهم أقل علمًا من غيرهم.

ولقد تطرق الإمام الرازي إلى أسباب غلبة الصفات المذمومة على الأَعراب، خاصة قبل إسلامهم فقال عن سبب شدتهم في الكفر والنفاق: "والسبب فيه وجوه: الأول: أن أهل البدو يشبهون الوحوش، والثاني: استيلاء الهواء الحار اليابس عليهم، وذلك يوجب مزيد التيه والتكبر والنخوة والفخر والطيش عليهم، والثالث: أنهم ما كانوا تحت سياسة سائس، ولا تأديب مؤدب ولا ضبط ضابط، فنشؤوا كما شاءوا، ومن كان كذلك خرج على أشد الجهات فسادًا، والرابع: أن من أصبح وأمسى مشاهدًا لوعظ رسول الله ﷺ، وبياناته الشافية، وتأدياته الكاملة، كيف يكون مساويًا لمن لم يؤاثر هذا الخير ولم يسمع خبره، والخامس: قابل الفواكه الجبلية بالفواكه البستانية لتعرف الفرق بين أهل الحضر والبادية"(٣٠).

وسنتعرف في هذا المبحث على الصفات التي ذمها القرآن في الأَعراب، وجُلُّها في ضعاف الإيمان والمنافقين منهم.

---

(٣٠) الرازي: **مفاتيح الغيب**. ج١٦. ص١٢٥.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد(١٢)، العدد(٥)، ص ص ٣٥٢٢- ٣٥٨٩ (شعبان ١٤٤٠هـ / مايو ٢٠١٩م)

الصفة الأولى: الغلظة والفظاظة.

وهي صفة عامة في معظم الأَعراب، ومتأصلة فيهم، حتى إنها كانت تظهر في بعض من آمن منهم، قبل أن يتمكن الإيمان من قلوبهم، ويُهذب طباعهم، والأحاديث في ذلك مشهورة معروفة(٣١)، والقرآن الكريم يعرض لهذه الصفة ويعالجها في العديد من المواضع؛ علَّها تكون ذكرى لمؤمنيهم فيجاهدوا نفوسهم ويؤدبوها بأدب الإيمان، فضلًا عما فيها من عبرة لسائر المؤمنين، إذ العبرة بعموم اللفظ كما هو معلوم.

ومن صور فظاظتهم: سوء مناداتهم للنبي ﷺ، قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ، وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الحجرات: ٤-٥]، ويذكر أهل التفسير أنها نزلت في قوم من الأَعراب من بني تميم، لم يحسنوا الأدب في نداء رسول الله ﷺ من وراء حجراته(٣٢)، "وذلك أنهم وفدوا على رسول الله ﷺ، فدخلوا المسجد ودَنوا من حجرات أزواج النبي ﷺ وهي تسعة، فجعلوا(٣٣) ولم ينتظروا، فنادوا بجملتهم: يا محمد اخرج إلينا، يا محمد اخرج إلينا. فكان في فعلهم ذلك جفاء وبداوة وقلة توقير، فتربص رسول الله ﷺ ثم خرج إليهم، فقال له الأقرع بن حابس: يا محمد إن مدحي زين وذمي شين، فقال له رسول الله ﷺ: "ويلك، ذلك الله تعالى"(٣٤).

---

(٣١) من الأمثلة على ذلك: حديث الأَعرابي الذي بال في المسجد (البخاري: **صحيح البخاري**. كتاب الوضوء. باب صب الماء على البول في المسجد. ج١. ص٥٤. رقم: ٢٢٠). والأَعرابي الذي استنكر على رسول الله تقبيل أبنائه (مسلم: **صحيح مسلم**. كتاب الفضائل. باب رحمته ﷺ بالصبيان والعيال. ج٤. ص١٨٠٨. رقم: ٢٣١٧). وغيرها.

(٣٢) انظر مجاهد: **تفسير مجاهد**. ص٦١٠. والطبري: **جامع البيان في تأويل القرآن**. ج٢٢. ص٢٨٤. وابن أبي حاتم: **تفسير ابن أبي حاتم**. ج١٠. ص٣٣٠٢. والواحدي: **أسباب النزول**. ص٣٨٧.

(٣٣) هكذا وردت الكلمة في تفسير ابن عطية، ولعل الصواب: (فَعَجَّلُوا) من الاستعجال، وليس (فجعلوا).

(٣٤) ابن عطية: **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**. ج٥. ص١٤٦. وانظر الواحدي: **أسباب النزول**. ج١. ص٣٨٧. جُملة النبي ﷺ "ويلك ذلك الله تعالى" والتي ردّ بها على الأقرع بن حابس أخرجها ابن حنبل: **مسند الإمام أحمد**. ج٤٥. ص١٨٢. رقم: ٢٧٢٠٣. وضعفها شعيب الأرناؤوط سندًا ومتنًا في هامش المسند. كما أخرجها أيضًا الترمذي: **سنن الترمذي**. كتاب أبواب تفسير القرآن. باب ومن سورة الحجرات. ج٥. ص٣٨٧. رقم: ٣٢٦٧ وقال: حسن غريب.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد(١٢)، العدد(٥)، ص ص ٣٥٢٢- ٣٥٨٩ (شعبان ١٤٤٠هـ / مايو ٢٠١٩م)

ويذكر الزمخشري ما يصور مشهد الفظاظة فيقول: "ومناداتهم من ورائها يحتمل أنهم قد تفرّقوا على الحجرات متطلبين له، فناداه بعض من وراء هذه، وبعض من وراء تلك، وأنهم قد أتوها حجرة حجرة فنادوه من ورائها"(٣٥)، فلك أن تتخيلهم وقد وقفوا مثنى أو جماعات أو فرادى، أمام كل حجرة من حجرات النبي ﷺ، ولا شك أن زوجاته فيها، ثم صرخوا: يا محمد، بدون توقير ولا تبجيل لصفة النبوة، فضلًا عن صراخهم من عدة جهات من وراء عدة حجرات، ويزداد تأكيد صفة الفظاظة، حين ننتبه لإسناد القرآن فعل المناداة لهم جميعا، قال البيضاوي: "وإنما أسند إلى جميعهم؛ لأنهم رضوا بذلك أو أمروا به، أو لأنه وجد فيما بينهم"(٣٦)، أو لأن البقية سكتوا ولم ينهوا المنادين عن فظاظتهم(٣٧)، وهذا يشير لتأصل طبع الفظاظة عندهم، حتى إن أحدًا منهم لم ينكر على المنادين، بل رأوه جميعًا أمرًا مستساغًا لا غرابة فيه.

كما ذكر بعض المفسرين أن قوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ [الحجرات: ١] نزل أيضًا في أعراب جفاة، رفعوا صوتهم في حضرة النبي ﷺ(٣٨).

الصفة الثانية: قلة العلم وقلة الفقه.

كان لبداوة الأَعراب علاقة بقلة علمهم، فعيش الصحراء وإن كان يصبغ النفس ببعض الطباع المحمودة، كالخشونة والاعتماد على النفس وقوة التحمل والشجاعة والبعد عن عُجمة اللسان وغيرها مما يُمدح، إلا أن لها أثرًا في قلة علمهم وفقههم –

(٣٥) الزمخشري: **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**. ج٤. ص٣٥٧.
(٣٦) البيضاوي: **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**. ج٥. ص١٣٤.
(٣٧) انظر البقاعي: **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**. ج١٨. ص٣٦٠.
(٣٨) انظر الطبري: **جامع البيان في تأويل القرآن**. ج٢٢. ص٢٨٥. والسمعاني: **تفسير السمعاني**. ج٥. ص٢١٣. وابن جزي: **التسهيل في علوم التنزيل**. ج٢. ص٢٩٤. وأبا حيان: **البحر المحيط**. ج٩. ص٥٠٧. وفي الصحيح أنها نزلت في اختلاف أبي بكر وعمر رضي الله عنهما في اختيار أمير لبني تميم حين قدم ركب منهم. (انظر البخاري: **صحيح البخاري**. كتاب المغازي. باب. ج٥. ص١٦٨. رقم: ٤٣٦٧).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد(١٢)، العدد(٥)، ص ص ٣٥٢٢- ٣٥٨٩ (شعبان ١٤٤٠هـ / مايو ٢٠١٩م)

بالمجمل–، ففي الصحراء يندر أن يلتقي البدوي بأهل العلم والفضل والفقه، على عكس الحواضر والمدن، حيث يكثر العلماء والفقهاء ويتيسر فيها من أسباب التعلم أضعاف ما يتيسر في البادية، ومن المواضع التي جاء فيها وصفهم بقلة العلم:

١- في قوله عز وجل: ﴿الأَعراب أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ﴾ [التوبة:٩٧] "ومعنى أجدر أي أقرب، مأخوذ من الجدار الذي يكون بين مسكني المتجاورين"(٣٩)، "وإنما كانوا أجدر بعدم العلم بالشريعة لأنهم يبعدون عن مجالس التذكير ومنازل الوحي، ولقلة مخالطتهم أهل العلم من أصحاب رسول اللهﷺ"(٤٠).

ويُستنبط من هذه الآية –كما أشار صاحب المنار–: أن العلم باللغة والفصاحة وحدها غير كاف لفهم الدين وشرائعه، بل لا بد مع ذلك من التلقي عن أهل العلم والفهم، **"فالأَعراب أجدر بالجهل من الحضر بطبيعة البداوة لا بضعف أفهامهم، أو بلادة أذهانهم، أو ضيق نطاق بيانهم، فقد كانوا مضرب الأمثال في قوة الجنان، ولوذعية الأذهان، وذرابة اللسان،** وسعة بيداء البيان، وعنهم أخذ رواة العربية أكثر مفردات العربية وأساليبها"(٤١).

٢- قوله عز وجل: ﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الفتح: ١٥] فقلة علمهم بحقائق الأمور، وبضآلة مغانم الدنيا الفانية بجانب مغانم الآخرة الباقية، جعلتهم يسارعون للمغانم ويهربون من المغارم، يطمعون بالدنيا ويزهدون بالآخرة، فوصفهم القرآن عقب ذلك بقلة الفقه: ﴿ بَلْ كَانُوا لَا

(٣٩) الماوردي: **النكت والعيون**. ج٢. ص٣٩٣.
(٤٠) ابن عاشور: **التحرير والتنوير**. ج١١. ص١٢.
(٤١) رضا: **تفسير المنار**. ج١١. ص٨.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد(١٢)، العدد(٥)، ص ص ٣٥٢٢- ٣٥٨٩ (شعبان ١٤٤٠هـ / مايو ٢٠١٩م)

يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ أي: "لا يفهمون إلا فهمًا قَلِيلًا، وهو فطنتهم لأمور الدنيا دون أمور الدين، كقوله تعالى: ﴿ يَعْلَمُونَ ظاهِراً مِنَ الْحَياةِ الدُّنْيا ﴾ [الروم: ٧]"(٤٢).

٣- ومما يُظهر قلة فقههم: اتهامُهم المؤمنين بالحسد، وذلك أنهم بعد تخلفهم عن الخروج للحديبية، أنزل الله عز وجل آيات من سورة الفتح، وكان في تلك الآيات إخبار للرسول الله ﷺ بأنه ستقع غزاة قريبة، يكون فيها مغانم قريبة سهلة، وأن المخلَّفين من الأَعراب سيطمعون بتلك الغنائم، وأنهم سيتهمون المؤمنين بالحسد: ﴿ سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الفتح: ١٥] ويظهر هذا الإخبار الغيبي من رد المؤمنين عليهم: ﴿ كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ ﴾ أي في الحديبية قبل خيبر كما ذكر غير واحد من المفسرين(٤٣)، وقد وقع ذلك فعلًا من هؤلاء الأَعراب، وقالوه كما حكى القرآن "بعد نحو شهر ونصف، فلما سمع المسلمون المتأهبون للخروج إلى خيبر مقالتهم قالوا: قد أخبرنا الله في الحديبية بأنهم سيقولون هذا"(٤٤).

فلو أن هؤلاء الأَعراب كان لهم حضور لمجالس الذكر والعلم، لعلموا بخبر تلك الآيات عند نزولها –قبل شهر ونصف–، ولو علموا بها لأضربوا عن احتجاجهم بحسد المؤمنين لهم ولَزَوَّروا مقالة غيرها، فكان هذا من الشواهد الواضحة على جهلهم بسبب بعدهم عن مجالس العلم في المدينة.

---

(٤٢) الزمخشري: **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**. ج٤. ص٣٣٨.

(٤٣) انظر الواحدي: **التفسير الوسيط**. ج٤. ص١٣٨. والقرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**. ج١٦. ص٢٧١. وأبا السعود: **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**. ج٨. ص١٠٨. والشوكاني: **فتح القدير**. ج٥. ص٥٨.

(٤٤) ابن عاشور، الطاهر: **التحرير والتنوير**. ج٢٦. ص١٦٩.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد(١٢)، العدد(٥)، ص ص ٣٥٢٢- ٣٥٨٩ (شعبان ١٤٤٠هـ / مايو ٢٠١٩م)

الصفة الثالثة: قلة الخير.

قلة الفقه والعلم في نفوس الأَعراب، أنْبَتَتْ في نفوس **بعضهم** طبعًا ذميمًا آخر هو: قلة الخير(٤٥)، فنفوسهم لا تتحفز للخير ولا تنشط له؛ لقلة علمهم وفقههم بما يحقق لهم الفلاح في الباقية قبل الفانية، ويظهر هذا جليًا في عدة مواقف، منها:

١- تقاعسهم عن الجهاد في سبيل الله، فقد تخلف بعضهم عن رسول الله ﷺ يوم الحديبية(٤٦): ﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الأَعراب شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا﴾ [الفتح: ١١]، وتخلفوا مرة ثانية يوم غزوة العسرة كما تشير آيات سورة التوبة(٤٧).

٢- عدم فعلهم الخير إلا مُكرهين مُرغمين، قال الله تعالى عن بعضهم: ﴿وَمِنَ الأَعراب مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا﴾ [التوبة: ٩٨] فالواحد من تلك الطائفة من الأَعراب، لا يعدُّ نفقته وجهًا من وجوه الخير، وهو حين ينفق، يعتقد أن ما أنفقه غُرم، لزمه لزومًا دون طواعية منه ولا رغبة، فهو رياء وغرامة وخسران(٤٨).

---

(٤٥) الخير مكنون في فطرة العربي البدوي، ولكن الحديث ههنا عن طائفة من الأَعراب تخلفت عن رسول الله، وإلا فإن الواقع يشهد لكرم أهل البادية ونجدتهم وشهامتهم، وقد كتب ابن خلدون في مقدمته فصلًا بعنوان "في أن أهل البدو أقرب إلى الخير من أهل الحضر" (ابن خلدون: **ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**. ص١٥٣).

(٤٦) انظر مجاهد: **تفسير مجاهد**. ص٦٠٧. والطبري: **جامع البيان في تأويل القرآن**. ج٢٢. ص٢١١. والبغوي: **تفسير البغوي**. ج٤. ص٢٢٥.

(٤٧) انظر الطبري: **جامع البيان في تأويل القرآن**. ج١٤. ص٥٦١. والقرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**. ج٨. ص٢٩٠. وابن كثير: **تفسير القرآن العظيم**. ج٤. ص٢٠٥.

(٤٨) انظر النيسابوري: **غرائب القرآن ورغائب الفرقان**. ج٣. ص٥٢١.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد(١٢)، العدد(٥)، ص ص ٣٥٢٢- ٣٥٨٩ (شعبان ١٤٤٠هـ / مايو ٢٠١٩م)

٣- وصف بعضهم بالبوار: ﴿بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنْتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا﴾ [الفتح: ١٢] وقد ذكر بعض المفسرين أن (البور) في الآية هو: قلة الخير في نفوسهم(٤٩)، كما ذكروا أن من معاني البوار الهلاك، وأنه لا شيء(٥٠)، والشيء الفاسد(٥١)، ولا تعارض بين هذه المعاني كلها، فنفوسهم من الأساس فاسدة ونواياهم من البداية باطلة، ولذا قلَّ الخير المأمول منها، ثم إن عاقبة قلة خيرهم أن يصيبهم الهلاك، وكما أن الأرض البوار الفاسدة لا تُنبت زرعًا(٥٢)، فكذلك نفوسهم الفاسدة لا تُنبت خيرًا.

الصفة الرابعة: النظرة المادية والتعلق بالدنيا.

كشف القرآن عن هذه الصفة لدى ضعاف الإيمان من الأَعراب في آيات سورة الفتح: ﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الفتح: ١٥]، وكان النبي ﷺ قد استنفرهم للخروج معه إلى مكة يوم صلح الحديبية، فخافوا أن يحصل قتال فاعتذروا، فوعد الله الصحابة ممن خرج للحديبية بغنائم قريبة –غنائم خيبر–، وجعلها خاصة لأهل الحديبية، جاء في تفسير عبد الرزاق: "لما وعدهم الله أن يفتح عليهم خيبر، وكان الله قد وعدها من شهد الحديبية، لم يعط أحدًا غيرهم منها شيئًا، فلمَّا علم المنافقون أنها

(٤٩) انظر عبد الرزاق: **تفسير عبد الرزاق**. ج٢. ص٤٥٢. والطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**. ج٢٢. ص٢١٤. وابن أبي حاتم: **تفسير ابن أبي حاتم**. ج٨. ص٢٦٧٣.

(٥٠) انظر الطبري: **جامع البيان في تأويل القرآن**. ج٢٢. ص٢١٣. وابن أبي حاتم: **تفسير ابن أبي حاتم**. ج٨. ص٢٦٧٣.

(٥١) انظر السمرقندي: **بحر العلوم**. ج٣. ص٣١٥. وابن كثير: **تفسير القرآن العظيم**. ج٧. ص٣١٣.

(٥٢) قال ابن فارس: "... وأرض بوار ليس فيها زرع". (ابن فارس: **مقاييس اللغة**. ج١. ص٣١٦).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد(١٢)، العدد(٥)، ص ص ٣٥٢٢- ٣٥٨٩ (شعبان ١٤٤٠هـ / مايو ٢٠١٩م)

الغنيمة، قالوا: ﴿ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ﴾ [الفتح: ١٥]"(٥٣)، وقد ذكر كلٌّ من الطبري(٥٤) والثعلبي(٥٥) مثل ذلك.

وهذه الآية توضح بجلاء تعلق قلوبهم بالدنيا، فقلوبهم لم تلتفت لمغانم الآخرة وثوابها حين استنفرهم النبي ﷺ إلى الحديبية، حيث كان القتال متوقعًا، ولكنها الْتَفَتَتْ لمغانم الدنيا، واشْرَأَبَّتْ أعناقهم لها حين علموا بغزوة قريبة مغانمها مضمونة، فهم إذن: "قوم ماديون، يفرّون من مواطن الخوف والخطر واحتمال القتال، ويحرصون على أخذ غنائم الحرب حينما يحسون بضعف الأعداء"(٥٦)، يفرحون لتَخَفُّفِهم من تكليفات الإيمان، ويحزنون إن فاتهم شيء من متاع الدنيا.

وقد كانوا من اللصوق بالدنيا، لدرجة أنهم يرضون بأي لُعاعة(٥٧) منها، كما يشير التعبير بقولهم: ﴿ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ﴾ فقد "قالوا هذه الكلمة؛ استنزالًا لإجابة طلبهم بأن أظهروا أنهم يخرجون إلى غزو خيبر كالأتباع، أي أنهم راضون بأن يكونوا في مؤخرة الجيش، فيكون حظهم في مغانمه ضعيفًا"(٥٨).

وقد بلغت النظرة المادية عند بعض الأَعراب، لدرجة أن يربط كل قراراته، وأن يوزن كل حساباته، بالربح الماديّ، وحتى بقاؤه في الدين أو خروجه منه، يوزنه بميزان المكاسب الدنيوية، فيرضى عن دينه أو يسخط بحسب المكاسب و"يجعل

(٥٣) عبد الرزاق: **تفسير عبد الرزاق**. ج٣. ص٢١١.
(٥٤) انظر الطبري: **جامع البيان في تأويل القرآن**. ج٢٢. ص٢١٦.
(٥٥) انظر الثعلبي: **الكشف والبيان عن تفسير القرآن**. ج٩. ص٤٦.
(٥٦) الزحيلي: **التفسير المنير**. ج٢٦. ص١٧٧.
(٥٧) "اللُّعَاعُ: ثمرُ الحشيش الذي يُؤْكَلُ، والكلب يَتَلَعْلَعُ إذا دَلَعَ لسانُه من العطش"، الفراهيدي: **العين**. ج١. ص٨٩.
(٥٨) ابن عاشور: **التحرير والتنوير**. ج٢٦. ص١٦٨.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد(١٢)، العدد(٥)، ص ص ٣٥٢٢- ٣٥٨٩ (شعبان ١٤٤٠هـ / مايو ٢٠١٩م)

العقيدة صفقة في سوق التجارة"(٥٩)، فقد جاء في سبب نزول قوله تبارك وتعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ﴾ [الحج: ١١] عن ابن عباس رضي الله عنهما: "...كان الرجل يقدم المدينة، فإن ولدتْ امرأته غلامًا، ونَتجتْ خيله، قال: هذا دين صالح، وإن لم تلد امرأته ولم تنتج خيله، قال: هذا دين سوء"(٦٠)، وقد صَرَّح معظم المفسرين أنها نزلت في بعض الأَعراب(٦١).

الصفة الخامسة: الالتواء والتهرب من المسؤولية.

من علامة المؤمن الصادق، أن يُسارع لتلبية تكليفات الإسلام، وأن يؤدي واجباته، ولا يتهرب من مسؤولياته، حتى إنه ليحزن أشدَّ الحزن إن أصابه ما يُعَوِّقه عن الاستجابة لله ورسوله، يقول الله تعالى: ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ﴾ [التوبة: ٩٢].

وعلى النقيض من ذلك كان حال بعض الأَعراب، حيث التفنن في الالْتفاف على أوامر الدين، واختلاق الأعذار للتملص والتهرب من المسؤوليات، ولعل حياة البداوة التي عاشوها في الصحراء، حيث الحياة الفردية، بدون تجمع ولا قانون ولا نظام تتوزع فيه المسؤوليات والواجبات، جعلهم ينفرون من تحمل أيَّ مسؤولية غير مسؤولية أنفسهم وذراريهم، وهذا يتعارض مع ما جاء به القرآن، من إقامة الحياة على النظام والجماعة، ولذا يزري القرآن الكريم عليهم هذه الصفة في عدة مواضع، منها:

---

(٥٩) قطب: **في ظلال القرآن**. ج٤. ص٢٤١٢.

(٦٠) البخاري: **صحيح البخاري**. كتاب تفسير القرآن. باب ومن الناس من يعبد الله على حرف. ج٦. ص٩٨. رقم: ٤٧٤٢.

(٦١) انظر مقاتل: **تفسير مقاتل بن سليمان**. ج٣. ص١١٧، والطبري: **جامع البيان في تأويل القرآن**. ج١٨. ص٥٧٥. والثعلبي: **الكشف والبيان عن تفسير القرآن**. ج٧. ص٩، والبغوي: **تفسير البغوي**. ج٣. ص٣٢٦. والزمخشري: **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**. ج٣. ص١٤٦. وابن كثير: **تفسير القرآن العظيم**. ج٥. ص٤٠٠.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد(١٢)، العدد(٥)، ص ص ٣٥٢٢- ٣٥٨٩ (شعبان ١٤٤٠هـ / مايو ٢٠١٩م)

١- **تفننهم في اختلاق الأعذار للتخلف عن الذهاب لمكة يوم الحديبية**، كما في قوله سبحانه وتعالى: ﴿ سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الأَعراب شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا ﴾ [الفتح: ١١]، والآية تُبَيّن لنا مدى تفننهم في تقديم العذر؛ فإنهم لما علموا أن المال قد لا يكون عذرًا كافيًا، أتبعوه بالتَّعذر بالأهل والخوف عليهم، فقد يتحمل الإنسان خسارة ماله، لكنه لا يتحمل خسارة أهله، ثم إنهم طلبوا من رسول الله ﷺ أن يستغفر لهم؛ ليصبغوا أعذارهم الكاذبة بلون الصدق، يقول الرازي: "قوله تعالى: ﴿ وَأَهْلُونَا ﴾ وذلك لو أن قائلًا قال لهم: المال لا ينبغي أن يبلغ إلى درجة يمنعكم حفظه من متابعة الرسول ﷺ لكان لهم أن يقولوا: فالأهل يمنع الاشتغال بهم وحفظهم عن أهم الأمور، ثم إنهم مع العذر تضرعوا وقالوا: ﴿ فَاسْتَغْفِرْ لَنَا ﴾، يعني فنحن مع إقامة العذر معترفون بالإساءة، فاستغفر لنا واعف عنا في أمر الخروج"(٦٢).

٢- بإمكاننا أن نلمح هذه الصفة لدى بعض الأَعراب في قوله تعالى: ﴿ وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الأَعراب لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ [التوبة: ٩٠]، وكلمة (المعذرون) تُقرأ بالتشديد (المعَذِّرُونَ)، كما تُقرأ بعين ساكنة خفيفة (الْمُعْذِرُونَ)، وهي على القراءة الأولى تعني أنهم جاؤوا بعذر مقبول وأنهم لم يُقصروا، وعلى القراءة الثانية تعني أنهم توهموا أن لهم عذرًا، ولكن لا عذر لهم(٦٣).

ولتعدد القراءات هذا حِكَمٌ، منها: "بيان اختلاف أحوال أولئك الأَعراب في أعذارهم، فمنهم من له عذر صحيح هو موقن به، ومن له عذر صوري لا حقيقي، وهو يوهم أنه حقيقي عالمًا بأنه مخادع، ومنهم من له عذر ضعيف هو في شك

(٦٢) الرازي: **مفاتيح الغيب**. ج٢٨. ص٧٤.
(٦٣) انظر الأزهري: **معاني القراءات**. ج١. ص٤٦٠. وابن زنجلة: **حجة القراءات**. ص٣٢١.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد(١٢)، العدد(٥)، ص ص ٣٥٢٢- ٣٥٨٩ (شعبان ١٤٤٠هـ / مايو ٢٠١٩م)

منه، إن نوقش فيه عجز عن إثباته، ومنهم من لا عذر له في الواقع فهو كاذب في انتحاله، وهذا من إيجاز القرآن العجيب بالإتيان بلفظ مفرد يتناول هذه الأقسام كلها مبهمة، إلا عند أهلها للحكمة الآتية المقتضية لإبهامها"(٦٤).

٣- التهرب من المسؤولية بإلقاء التهم على الآخرين: وذلك حين حُرموا غنائمَ خيبر، كما سبق(٦٥)، وقد كان حرمانهم إياها بأمر من الله: ﴿قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ﴾ [الفتح: ١٥]، فغاظهم فوات متاع الدنيا وغنائمها، وبدلًا من أن يراجعوا أنفسهم ويحاسبوها على السبب الذي لأجله عاقبهم الله، سارعوا لاتهام المؤمنين، مُدَّعين أن حرمانهم من الغنائم هو حسدٌ من المؤمنين لهم، واستئثارٌ منهم بغنائم خيبر، فقالوا: ﴿بَلْ تَحْسُدُونَنَا﴾ [الفتح: ١٥]، فكذبهم الله وردَّ عليهم: ﴿بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾، فكان صنيع هؤلاء الأَعراب من أبشع أشكال الالتواء؛ لما فيه من قلبٍ للحقائق، إذ قلبوا الحقائق، وأسقطوا ما في نفوسهم على غيرهم، ورموا بأمراض قلوبهم على أصحاب القلوب الطاهرة، وذلك كما قيل في المثل: "رمتني بدائها وانسلت"(٦٦)، ولا يزال أمثال أولئك الأَعراب في أيامنا، من عَبَدَة المال والجاه والمناصب، ينزعون مما في قلوبهم من أمراض، ثم يتهمون بها المخلصين من الدعاة.

الصفة السادسة: الكذب.

الكذب والنفاق قرينان، وما أكثر ما يتذرع المنافق بالكذب لإخفاء طويته وستر خبيئته، وقد وصم القرآن الكريم منافقي الأَعراب بصفة الكذب كما يظهر في غير موضع من كتاب الله، منها:

---

(٦٤) رضا: **تفسير المنار**. ج١٠. ص٥٠٤.

(٦٥) انظر الصفة الرابعة من صفاتهم: النظرة المادية والتعلق بالدنيا.

(٦٦) الضبي: **أمثال العرب**. ص٤٧. والهاشمي: **الأمثال**. ص١٣٣.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد(١٢)، العدد(٥)، ص ص ٣٥٢٢- ٣٥٨٩ (شعبان ١٤٤٠هـ / مايو ٢٠١٩م)

١- ﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الأَعراب شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [الفتح: ١١] والآية تكشف كذبهم على النبي ﷺ في طلبهم الاستغفار، لأنهم سألوه ذلك "من غير توبة منهم ولا ندم على ما سلف منهم من معصية الله في تخلفهم عن صحبة رسول الله ﷺ والمسير معه"(٦٧)، فهم إذن: "ليسوا صادقين فيما يقولون، والحق أنهم يقولون قولًا من أطراف ألسنتهم، دون أن تؤيده قلوبهم، فإن السبب الحقيقي لعدم خروجهم معك، هو ضعف إيمانهم، ومرض قلوبهم، وتذبذب نفوسهم، فالجملة الكريمة تكذيب لهم فيما قالوه، وفضيحة لهم على رؤوس الأشهاد"(٦٨).

٢- **الحلف كذبًا**: وذلك حين حلف بعض المنافقين من الأَعراب كذبًا: ﴿سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ٩٥ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: ٩٥-٩٦] وقد ذكر المفسرون أن هذه الآيات في المنافقين عمومًا(٦٩)، أما الرازي فقد رجح أنها في المنافقين من الأَعراب، واستدل على ذلك بأن هذه المعاني مكررة في آيات سالفة، فجاء تكرارها ههنا مرة أخرى **لأن الأولى في المنافقين من أهل المدينة وهذه في المنافقين من الأَعراب**، واعتبر أن مجيء آية ﴿الأَعراب أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا﴾ بعد ذكر حلفهم يؤكد ما ذهب إليه(٧٠).

---

(٦٧) الطبري: **جامع البيان في تأويل القرآن**. ج٢٢. ص٢١١.

(٦٨) طنطاوي: **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**. ج١٣. ص٢٦٩.

(٦٩) انظر الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**. ج١٤. ص٤٢٨. وابن أبي حاتم: **تفسير ابن أبي حاتم**. ج٦. ص١٨٦٦. وابن كثير: **تفسير القرآن العظيم**. ج٤. ص١٧٦.

(٧٠) انظر الرازي: **مفاتيح الغيب**. ج١٦. ص١٢٤.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد(١٢)، العدد(٥)، ص ص ٣٥٢٢- ٣٥٨٩ (شعبان ١٤٤٠هـ / مايو ٢٠١٩م)

الصفة السابعة: المنّ.

وكان من صفات بعض الأَعراب صفة المنِّ، وهي صفة ناشئة عن قلة فقههم في الدين، والمنُّ هو "القطع"(٧١)، قال الزمخشري: "واشتقاقها من المنّ الذي هو القطع، لأنه إنما يسديها إليه ليقطع بها حاجته لا غير، من غير أن يعمد لطلب مثوبة"(٧٢)، وبعبارة أوضح المنُّ هو: "ذكر الأيادي تعريضًا للشكر"(٧٣).

فهؤلاء الأَعراب بدلًا من أن يستشعروا فضل الله عليهم بأن هداهم للدين، رأوا أن لهم فضلًا عن النبي ﷺ وفضلًا على الدين، قال الله عز وجل: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الحجرات: ١٧]، عن عبد الله بن أبي أوفى قال: "قال أناس من العرب: يا رسول الله، أسلمنا ولم نقاتلك، وقاتلك بنو فلان، فأنزل الله: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ﴾ [الحجرات: ١٧] الآية"(٧٤).

وهذا القول منهم يكشف عن شيء من باطن نفوسهم تناوله السعدي بالبيان فقال: "هذه حالة من أحوال من ادعى لنفسه الإيمان، وليس به، فإنه إما أن يكون ذلك تعليمًا لله، وقد علم أنه عالم بكل شيء، وإما أن يكون قصدهم بهذا الكلام، المنة على رسوله، وأنهم قد بذلوا له وتبرعوا بما ليس من مصالحهم، بل هو من حظوظه الدنيوية، وهذا تَجَمُّل بما لا

---

(٧١) الجوهري: **تاج اللغة وصحاح العربية**. ج٦. ص٢٢٠٧.
(٧٢) الزمخشري: **الكشاف عن حقاق غوامض التنزيل**. ج٤. ص٣٨٧.
(٧٣) النسفي: **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**. ج٣. ص٣٥٩.
(٧٤) أخرجه ابن أبي حاتم: تفسير ابن أبي حاتم. ج١٠. ص٣٣٠٦. رقم: ١٨٦١٩ عن الحسن مرسلا. كما أخرجه النسائي: السنن الكبرى. كتاب التفسير. باب سورة الحجرات. ج١٠. ص٢٦٩. رقم ١١٤٥٥. وأخرجه الطبراني: المعجم الأوسط. ج٨. ص٧٨. حديث رقم: ٨٠١٦. موقوفًا على عبد الله بن أبي أوفى. وأخرجه البزار: البحر الزخار. ج١١. ص٣٢٨. حديث رقم ٤١٤١ عن ابن عباس مرفوعًا.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد(١٢)، العدد(٥)، ص ص ٣٥٢٢- ٣٥٨٩ (شعبان ١٤٤٠هـ / مايو ٢٠١٩م)

يَجْمُل، وفخر بما لا ينبغي لهم أن يفتخروا على رسوله به، فإن المنة لله تعالى عليهم، فكما أنه تعالى يمن عليهم، بالخلق والرزق، والنعم الظاهرة والباطنة، فمنته عليهم بهدايتهم إلى الإسلام، ومنته عليهم بالإيمان، أعظم من كل شيء"(٧٥).

الصفة الثامنة: تمني الشر بالمؤمنين وسوء الظن بمصيرهم.

وهي صفة عامة في كل منافق، ولعلها كانت في المنافقين من الأَعراب أشد من غيرهم فإن الله قال: ﴿الأَعراب أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا﴾ [التوبة: ٩٧] فهم يرون الإسلام مغرمًا –لجهلهم– وبالتالي يتمنون دومًا أن تزول شوكة الإسلام وأن يظهر عليه أعداؤه، وهم في انتظار دائم وتربص وترقب لكل شر يصيب المؤمنين حقدًا وغيظًا، ليتحللوا من كل تكليف يرونه ثقلًا على كواهلهم، وما علموا أن رفعتهم وذكرهم لا يكون إلا بالإسلام، وهو ما شهد به تاريخ العرب.

ومن الآيات التي تشير لغيظ نفوسهم وحقد قلوبهم قوله عز من قائل: ﴿وَمِنَ الأَعراب مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ﴾ [التوبة: ٩٨] فهم يتربصون أي ينتظرون دوران الأمور على المؤمنين وانقلابها عليهم(٧٦)، فيدور عز المؤمنين ذُلًّا وينقلب نصرهم هزيمة، لكن أَنَّى يكون ذلك والله مولى المؤمنين وناصرهم ما استقاموا على دينهم.

ولفظ "الدوائر" يشير لمدى حقدهم فهم يتمنون أن يقع بالمؤمنين مصائب وبلايا لا نجاة منها ولا مفرَّ، قال ابن عطية: **"والدوائر المصائب التي لا مخلص للإنسان منها، فهي تحيط به كما تحيط الدائرة"**(٧٧).

---

(٧٥) السعدي: **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**. ص٨٠٢.

(٧٦) انظر الماتريدي: **تأويلات أهل السنة**. ج٥. ص٤٥٧. والقرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**. ج٨. ص٢٣٤. والنسفي: **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**. ج١. ص٧٠٤.

(٧٧) ابن عطية: **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**. ج٣. ص٧٣.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد(١٢)، العدد(٥)، ص ص ٣٥٢٢- ٣٥٨٩ (شعبان ١٤٤٠هـ / مايو ٢٠١٩م)

ثم إن أمنيات المنافقين من أَعراب وغيرهم، لكثرة ما تخطر على قلوبهم وتطرق أحلامهم، ومع ما يوحيه لهم شياطين الجن من زخارف القول، أصبحتْ ظن سوء بالله ورسوله: ﴿بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنْتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا﴾ [الفتح: ١٢]، "يعني ظننتم أن العدو يستأصلهم فلا يرجعون إلى أهليهم ﴿وَزُيِّنَ ذلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ يعني زيّن الشيطان ذلك الظن عندكم حتى قطعتم به، حتى صار الظن يقينًا عندكم، وذلك أن الشيطان قد يوسوس في قلب الإنسان بالشيء ويزينه له حتى يقطع به ﴿وَظَنَنْتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ﴾ يعني وظننتم أن الله يخلف وعده وذلك أنهم قالوا: إن محمدًا وأصحابه أَكَلَةُ رأس، يريدون بذلك قلتهم فلا يرجعون"(٧٨).

وكما أساءوا الظن بالله، نجدهم أيضًا أساءوا الظن بالمؤمنين، حين اتهموهم بالحسد، والحق أن الحسد إنما كان يسكن قلوبهم هم، لكنه على عادة أهل الدنيا اتهموا غيرهم بما فيهم وجَرَوْا "على المعروف من أهل الأنظار القاصرة والنفوس الضئيلة من التوسم في أعمال أهل الكمال بمنظار ما يجدون من دواعي أعمالهم وأعمال خلطائهم"(٧٩).

المطلب الثاني: صفات من أثنى عليهم القرآن من الأَعراب.

تبين في المطلب السابق جزء من صفات الأَعراب الذين ذمهم القرآن من منافقين وضعاف الإيمان، كما تبين أثر بيئة البداوة في جعل صفاتهم أحدّ وأشد، ومع أن معظم الصفات التي ذكرها القرآن للأَعراب هي صفات مذمومة –نظرًا لغلبة النفاق عليهم في بداية أمرهم مع الدين– إلا أن هذا لا يعني أن نفوس الأَعراب عموما خلتْ من صفات تُحمد، بل إن من طبيعتهم الشدة في كل أمر، وكما أن الصحراء التي عاشوا فيها تأتيهم من كل شيء بأشده، فإن جاءت بالحر جاءت بأشده، وإن جاءت بالبرد

(٧٨) الخازن: **لباب التأويل في معاني التنزيل**. ج٤. ص١٥٧.
(٧٩) ابن عاشور، الطاهر: **التحرير والتنوير**. ج٢٦. ص١٧٦.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد(١٢)، العدد(٥)، ص ص ٣٥٢٢- ٣٥٨٩ (شعبان ١٤٤٠هـ / مايو ٢٠١٩م)

جاءت بأشده، فكذلك هم؛ إن نافقوا كانوا أشد نفاقًا، وإن تعلقوا بالدنيا كانوا أشد لصوقًا، وفي المقابل إن آمنوا كانوا أشد إخلاصًا، وإن جاهدوا كانوا أشد تضحية...إلخ.

وما أجمل ما قاله الطاهر بن عاشور في وصفهم، فبعد أن ذكر أسباب غلاظتهم وفظاظتهم وقلة علمهم قال: "... **فأما في الأخلاق التي تُحمد فيها الخشونة والغلظة والاستخفاف بالعظائم مثل الشجاعة والصراحة وإباء الضيم والكرم، فإنها تكون أقوى في الأَعراب بالجِبِلَّة، ولذلك يكونون أقرب إلى الخير إذا اعتقدوه وآمنوا به**"(٨٠).

والمقصود أن الأَعراب كان منهم مؤمنون قدموا نماذج في الإيمان يُقتدى بها، وكثيرة هي قصص الأَعراب في السنة النبوية والتي راحت نموذجًا في التضحية والإخلاص، أو حسن الإسلام، أو الاهتمام بأمر الدين(٨١)، بل يبدو عند مطالعة السُّنة أن كثيرًا من الأسئلة كان يسألها الأَعراب للنبي ﷺ فتكون سببًا في التعليم، وهذا يدل على أن من آمن منهم كان يحضر بعض مجالس النبي ﷺ ويحرص أن يأخذ من أمر الدين، ولا مجال لعرض مثل تلك الحوادث والأمثلة تماشيًا مع حدود هذه الدراسة.

ومن الصفات التي امتدحها القرآن في بعض الأَعراب، والتي تُظهر تَغَيُّر حالهم وترقيهم في مدارج الإيمان بما يستحق ثناء القرآن عليهم، ما يأتي:

---

(٨٠) ابن عاشور، الطاهر: **التحرير والتنوير**. ج١١. ص١١-١٢.

(٨١) انظر على سبيل المثال: قصة الأَعرابي ضمام بن ثعلبة (البخاري: **صحيح البخاري**. كتاب الإيمان. باب الزكاة من الإسلام. ج١. ص١٨. رقم: ٤٦). وقصة الأَعرابي الذي سأل عن الرجل يقاتل للمغنم، والرجل يقاتل للذكر ولرؤية مكانه في سبيل الله (البخاري: **صحيح البخاري**. كتاب فرض الخمس. باب من قاتل للمغنم هل ينقص أجره. ج٤. ص٨٦. رقم: ٣١٢٦)، والأَعرابي الذي قال له النبي مستحسنًا: "اعمل من وراء البحار..." (البخاري: **صحيح البخاري**. كتاب مناقب الأنصار. باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة. ج٥. ص٦٥. رقم: ٣٩٢٣)، وقصة الأَعرابي الذي صدق الله فصدقه الله (النسائي: سنن النسائي. كتاب الجنائز. باب الصلاة على الشهداء. ج٤. ص٦٠. حديث رقم ١٩٥٣) وقد صححه الألباني (الألباني: أحكام الجنائز. ص٦١).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد(١٢)، العدد(٥)، ص ص ٣٥٢٢- ٣٥٨٩ (شعبان ١٤٤٠هـ / مايو ٢٠١٩م)

أولًا: الإخلاص: وهو ما يظهر بجلاء في قوله عز وجل: ﴿وَمِنَ الأَعراب مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرُبَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٩٩] وهذه الآية تعطينا نموذجًا في إخلاصهم وبذلهم النفقات في سبيل الدين، وطمعهم بثواب الله ودعاء النبي ﷺ لهم، وفي قوله: ﴿أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ﴾ شهادة من ذات الله العلية بإخلاصهم وصدقهم(٨٢).

ثانيًا: البكاء حزنًا عندما يفوتهم المشاركة في الجهاد في سبيل الله: ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُون﴾ [التوبة: ٩٢]، وقد ذكر المفسرون عدة وجوه في تعيين المقصودين بهذه الآية، منها أنهم طائفة من أَعراب بني مقرِّن(٨٣)، وعلى هذا فالآية تشير لدرجة سامقة في الإيمان، بلغته قلوب بعض الأَعراب.

ثالثًا: **الحرص على التفقه في الدين** وعدم التخلف عن رسول الله ﷺ: ويظهر هذا مما جاء في تفسير قول الله عز وجل: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الأَعراب أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ... وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُون﴾ [التوبة: ١٢٠-١٢٢]، وللمفسرين كلام طويل في هاتين الآيتين،

---

(٨٢) انظر الزمخشري: **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**. ج٢. ص٣٠٤، أبا السعود: **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**. ج٤. ص٩٦. الآلوسي: **روح المعاني**. ج٦. ص٨.

(٨٣) انظر الطبري: **جامع البيان في تأويل القرآن**. ج١٤. ص٤٢٣. وابن عطية: **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**. ج٣. ص٧١. والرازي: **مفاتيح الغيب**. ج١٦. ص١٢٢. وبنو مقرِّن هم ذات الأعراب الذين نزل فيهم قول الله عز وجل: {وَمِنَ الأَعراب مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرُبَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ} [التوبة: ٩٩] كان فيهم. انظر الطبري: **جامع البيان في تأويل القرآن**. ج١٤. ص٤٣٣. وابن أبي حاتم: **تفسير ابن أبي حاتم**. ج٦، ص١٨٦٧.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد(١٢)، العدد(٥)، ص ص ٣٥٢٢- ٣٥٨٩ (شعبان ١٤٤٠هـ / مايو ٢٠١٩م)

سيأتي بيانه في المطلب الثالث من المبحث الثالث، وخلاصته أن كثيرًا من الأَعراب صاروا يفدون إلى المدينة للتفقه في الدين ويشاركون في الجهاد مع رسول الله ﷺ.

المبحث الثالث: منهجية القرآن الكريم في التعامل مع الأعراب، وأثر ذلك في واقعنا المعاصر.

للقرآن الكريم منهجيته الخاصة المعجزة في التعامل مع الأعراب، والتي يمكن الاستفادة منها، وتنزيلها على واقعنا المعاصر، وسنعرض لهذا الأمر وفق أربعة مطالب على النحو الآتي:

المطلب الأول: تناقض طبيعة عيش الأَعراب مع مقصد الإسلام في عمارة الأرض وحضارتها.

إن طبيعة عيش الأَعراب لا تنسجم مع أهداف الإسلام في عمارة الأرض ودفع عجلة الحضارة، فعيش البداوة يغلب عليه التفرد وانعدام النظام والسلطان –سوى عُرْف القبيلة–، بينما عمارة الأرض والحضارة محتاجة ولا بد لجماعة ونظام وسلطان، والأَعراب أبعد الناس عن ذلك، **يقول ابن خلدون: "العرب أبعد الناس عن سياسة الملك والسّبب في ذلك أنّهم أكثر بداوة من سائر الأمم** وأبعد مجالًا في القفز وأغنى عن حاجات التّلول(٨٤) وحبوبها(٨٥) لاعتيادهم الشّظف وخشونة العيش فاستغنوا عن غيرهم فصعب انقياد بعضهم لبعض لإيلافهم ذلك وللتّوحّش... **وإنّما يصيرون إليها بعد انقلاب**

---

(٨٤) التلول: من تلل، ويدور معناها حول الارتفاع وصرع الغير وهما ضدان (انظر الفراهيدي: **العين**. ج٨. ص١٠٦. وابن فارس: **مقاييس اللغة**. ج١. ص٣٣٩. وقال الزبيدي في معنى التلول: "الذي لا ينقاد إلا بطيئًا" (الزبيدي: **تاج العروس**. ج٢٨. ص١٤٢) وعلى هذا فيبدو أن المقصود من التلول في كلام ابن خلدون هو: ترفع العرب عن الانقياد لبعضهم.

(٨٥) حبوبها: ذكرت كتب المعاجم عدة معان لهذه الكلمة لكن المعنى الذي يناسب سياق كلام ابن خلدون ما وجدته عن الفراهيدي: "التبحْبُحُ: التَمكُّن في الحُلُول والمقام" (انظر الفراهيدي: **العين**. ج٣. ص٣٣). وقال ابن منظور: "والإِحْبابُ: البُروكُ. وأَحَبَّ البَعِيرُ: بَرَك" (ابن منظور: **لسان العرب**. ج١. ص٢٩٢). ويبدو أن المقصود من كلام ابن خلدون استغناء أهل البادية عن المقام والسكنى في مكان ثابت.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد(١٢)، العدد(٥)، ص ص ٣٥٢٢- ٣٥٨٩ (شعبان ١٤٤٠هـ / مايو ٢٠١٩م)

طباعهم وتبدّلها بصبغة دينيّة تمحو ذلك منهم... ولما شيّد لهم الدّين أمر السّياسة بالشّريعة وأحكامها المراعية لمصالح العمران ظاهرًا وباطنًا وتتابع فيها الخلفاء عظم حينئذ ملكهم وقوي سلطانهم"(٨٦).

وقال الشعراوي موضحًا طبيعة الأَعراب: "... ومعنى ذلك أن كلًّا منهم ليس له سياسة عامة تحكمه في تلك البادية، وكل واحد منهم -كما يقال- صوته من دماغه، أو من دماغ رئيس القبيلة... لذلك يُقال عن كل واحد منهم (مستوحش) أي: ليس له أُلفة بمكان أو جيران أو قانون عام، أما الذي يحيا في القرية ويتوطنها فله جيران، وله قانون يحكمه..."(٨٧).

ويبدو أن عيش البداوة رسخ فيهم بعض الصفات السلبية، أهمها الميل للفردية والنفور من التزام نظام غير أعراف القبيلة وتقاليدها، وكذا مقاومة أي تغيير أو تجديد أو تطوير خوفًا على عادات القبيلة وأعرافها، وهذه الصفات كلها تتعارض من التقدم والحضارة التي يريدها الإسلام(٨٨).

وقد جاء التصريح في النهي عن التَّعَرُّب(٨٩) في الحديث الذي أخرجه البخاري عن سلمة بن الأكوع: أنه دخل على الحجاج فقال: يا ابن الأكوع، ارْتَدَدْتَ على عقبيك، تعربت؟ قال: لا، ولكن رسول الله ﷺ "أذن لي في البدو"(٩٠)، ومع أن إيجاب الهجرة انتهى بعد فتح مكة بسبب ظهور الإسلام وقوته حيث قال النبي ﷺ: "لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية، وإذا استنفرتم فانفروا"(٩١)، إلا أن حرص الإسلام على بذل كل مسلم وسعه لنصرة الدين والقيام بواجب الاستخلاف هو أمر

---

(٨٦) ابن خلدون: **ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**. ص١٨٩-١٩٠.

(٨٧) الشعراوي: **تفسير الشعراوي**. ج٩. ص٥٤٣٥-٥٤٣٦.

(٨٨) انظر جواد علي: **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**. ج١. ص٢٧٨-٢٨٢.

(٨٩) التَّعَرُّب هو: "أن يرجع إلى البادية، بعد ما كان مقيمًا بالحضر، فيلحق بالأَعراب. ويكون التعرب المقام بالبادية" (ابن منظور: **لسان العرب**. ج١. ص٥٨٨). وقد سبق نقل تعريفات شُراح الحديث للتعرب عند الحديث عن تعريف الأَعراب في التمهيد.

(٩٠) متفق عليه. البخاري: **صحيح البخاري**. كتاب الفتن. باب التعرب في الفتنة. ج٩. ص٥٢. رقم: ٧٠٨٧. ومسلم: **صحيح مسلم**. كتاب الإمارة. باب تحريم رجوع المهاجر إلى استيطان وطنه. ج٣. ص١٤٨٦. رقم: ١٨٦٢.

(٩١) متفق عليه. البخاري: **صحيح البخاري**. كتاب الجهاد والسير. باب لا هجرة بعد الفتح. ج٤. ص٧٥. رقم: ٣٠٧٧. ومسلم: **صحيح**
==

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد(١٢)، العدد(٥)، ص ص ٣٥٢٢- ٣٥٨٩ (شعبان ١٤٤٠هـ / مايو ٢٠١٩م)

باق على الوجوب؛ بدليل أن النبي ﷺ ختم الحديث السابق بقوله "وإذا استنفرتم فانفروا" وكذا أورد الإمام مسلم الحديث في باب (المبايعة بعد الهجرة على الإسلام والجهاد)، فضلًا عن عموم الأدلة التي توجب على المسلم نصرة الدين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والمشاركة في الجمعة والجماعات والجهاد والغزوات، والإسهام في البذل وكافة أشكال الخيرات.

وعودًا لطباع الأَعراب المتناقضة مع مقصد الدين في إنشاء أمة متماسكة ذات نظام وهدف حضاري، فقد عمل القرآن الكريم على تغيير تلك الطباع في العرب عمومًا وفي الأَعراب خصوصًا، فعمل أولًا على تهذيب نفوسهم وإصلاحها بشكل عام، ثم إنه انتهج عدة أساليب في تصحيح أخطائهم وتقويم سلوكهم وتهذيب طباعهم وإعادة صياغتها لإشراكها في حركة الإسلام الحضارية وعمارته للعالم.

المطلب الثاني: أساليب القرآن في التعامل مع الأَعراب وتصحيح أخطائهم.

أولًا: العدل في معاملتهم.

ويظهر العدل في معاملتهم في عدة أمور، منها:

١- إنصاف القرآن لهم عند الحكم عليهم: فقد أمر القرآن الكريم بالعدل عند الشهادة على الناس: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ﴾ [المائدة: ٨] ونهى عن غمط حقوقهم: {وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُم} [الشعراء: ١٨٣] وحث إلى إقامة الشهادة ديانة لله: ﴿وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّه﴾ [الطلاق: ٢].

ومن شهادة القرآن للناس بالقسط ألا يعمم أحكامه على الناس لمجرد أنهم ينتمون لعرق واحد أو بيئة واحدة، ولهذا لم يعمم القرآن حكمه على الأَعراب جميعًا، بل فَصَّل وبَيَّن؛ فذكر أن منهم المؤمنين، ومنهم المنافقين.

مسلم. كتاب الإمارة. باب المبايعة بعد الهجرة على الإسلام والجهاد. ج٣. ص١٤٨٧. رقم ١٣٥٣.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد(١٢)، العدد(٥)، ص ص ٣٥٢٢- ٣٥٨٩ (شعبان ١٤٤٠هـ / مايو ٢٠١٩م)

وقد رد أبو السعود في تفسيره(٩٢) على من يتراءى له أن آية: {الأَعراب أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا} [التوبة: ٩٧ عامة في جميع الأَعراب، وذكر أن الآيات اللاحقة تبين خطأ ذلك الفهم، حيث إنها تذكر أن فيهم المنافقين وفيهم المؤمنين: ﴿الأَعراب أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا... وَمِنَ الأَعراب مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرُبَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ﴾ [التوبة: ٩٧-٩٩]، وقال السعدي: "**وفي هذه الآية دليل على أن الأَعراب كأهل الحاضرة، منهم الممدوح ومنهم المذموم، فلم يذمهم الله على مجرد تعربهم وباديتهم، إنما ذمهم على ترك أوامر الله**"(٩٣).

وهذا العدل وكذا الدقة في القرآن عند الحكم على الناس، نجدها في مواضع أخرى من كلام القرآن عن الأَعراب كقوله عز وجل: ﴿وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الأَعراب لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [التوبة:٩٠] "وإنما قال: منهم لأنه تعالى كان عالما بأن بعضهم سيؤمن ويتخلص عن هذا العقاب، فذكر لفظة "من" الدالة على التبعيض"(٩٤)، وما أعظم الفرق في نفسية الأَعرابي بين سماعه "سيصيبهم" والتي فيها عموم العقاب، وسماعه ﴿سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ﴾ والتي فيها تخصيص، ففي الأولى شيء من التيئيس بينما الثانية تفتح له بابًا للرجاء والأمل.

---

(٩٢) انظر أبا السعود: **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**. ج٤. ص٩٥.
(٩٣) السعدي: **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**. ص٣٤٩.
(٩٤) الرازي: **مفاتيح الغيب**. ج١٦. ص١٢٠.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد(١٢)، العدد(٥)، ص ص ٣٥٢٢- ٣٥٨٩ (شعبان ١٤٤٠هـ / مايو ٢٠١٩م)

وكذلك الحال حين تحترز ألفاظ القرآن بكلمة "أكثرهم" في قوله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الحجرات: ٤] **فلم يصفهم جميعًا بأنهم لا يعقلون بل قال أكثرهم، لأنه قد يكون فيهم ساكت لعذر**(٩٥).

ولو أن الحكم على الأعراب بالنفاق أو العذاب كان عامًا، لحمل ذلك الصالحين منهم على النقمة والغضب، أو لأيأسهم من إصلاح نفوسهم.

وعدم التعميم في الحكم على الناس سُنة قرآنية نجدها في غير موطن في القرآن(٩٦)، يجدر بالدعاة والمصلحين أن يأخذوا بها لئلا ينفض الناس عنهم، ولِما قد يجره التعميم في الأحكام من ظلم أو سلب لحقوق البعض، إذ لا شيء أقعد للنفس عن العمل من غمط صاحب الحق حقه وإهدار قيمته وإلحاقه بغيره، خاصة إن كان ذلك الغمط أو ذلك التعميم ممن كان يُرجى رضاؤه أو تقديره.

٢– معاملة كل صنف منهم بما يناسب شاكلته ويصلحها:

فلم تكن معاملة القرآن الكريم للأعراب وفق منهجية واحدة ولا طريقة واحدة، بل الملاحظ أنه عامل الأشد نفاقًا منهم بشدة تلائمهم، فكشفهم وفضحهم وحذر المسلمين منهم، وأنذرهم بأقسى العقوبات كما في قوله عز وجل: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الأَعراب مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ

(٩٥) انظر البقاعي: **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**. ج١٨. ص٣٦١.

(٩٦) من ذلك قول الله عز وجل:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ كَٰفِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٠٠] فلم يعمم بل قال "فريقًا من"، وأيضًا حين وصف الشعراء بأنهم غاوون لم يعمم بل استثنى: ﴿ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلۡغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمۡ تَرَ أَنَّهُمۡ فِي كُلِّ وَادٖ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمۡ يَقُولُونَ مَا لَا يَفۡعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱنتَصَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْۚ وَسَيَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٖ يَنقَلِبُونَ ﴾ [الشعراء: ٢٢٤ – ٢٢٧].

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد(١٢)، العدد(٥)، ص ص ٣٥٢٢- ٣٥٨٩ (شعبان ١٤٤٠هـ / مايو ٢٠١٩م)

سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ [التوبة: ١٠١] وقد نقل الطبري عدة أقوال في المقصود من عذاب المرة الأولى والثانية، ومنها فضحهم وكشف أمرهم، والقتل والسبي والجوع والخوف وعذاب القبر وغيرها، ثم رجح أن أولى الأقوال بالصواب أن المرتين عذابان في الدنيا لأنه قال: ﴿ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ فدل على أن المرتين قبل يوم القيامة(٩٧).

والذي يهمنا ههنا هو ملاحظة الشدة في معاملتهم حيث هددهم بثلاث عذابات، وذلك لأن نفاقهم لم يكن كسائر المنافقين، بل مردوا عليه، أي مرنوا عليه وتمرسوا وتدربوا(٩٨)، فكأنهم أمهر من غيرهم في فنون النفاق وأساليبه، ولذا ناسب أن تكون عقوبتهم أعظم، وفي المقابل نجد القرآن يتلطف مع غيرهم من الأَعراب، ممن كانوا أقل خطرًا أو أقل سوءًا، كالأَعراب الذين نادوا رسول الله من وراء حجراته: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ۝ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الحجرات ٤،٥] فذكر خطأهم، ثم تلطف الله بهم، وذَكَّرهم بمغفرته ورحمته في آخر الآية.

وهذا التنويع في أساليب المعاملة ما بين الشدة والتلطف، بحسب ما يقتضيه الحال، هو من العدل الذي على الدعاة والمصلحين أن يراعوه في علاجهم الأمور.

---

(٩٧) انظر الطبري: **جامع البيان في تأويل القرآن**. ج١٤. ص٤٤٥.

(٩٨) انظر الفراء: **معاني القرآن**. ص٤٥٠. والطبري: **جامع البيان في تأويل القرآن**. ج١٤. ص٤٤٠.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد(١٢)، العدد(٥)، ص ص ٣٥٢٢- ٣٥٨٩ (شعبان ١٤٤٠هـ / مايو ٢٠١٩م)

٣- عدم إنقاصهم شيئًا من حقوقهم ولا أجورهم:

فإن الله عز وجل منزه عن الظلم، لا يظلم عبدا مثقال ذرة، وقد قال الله للأَعراب: ﴿وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا﴾ [الحجرات: ١٤] ومعنى لا يلتكم: أي لا يظلمكم، أو لا ينقصكم من أجور أعمالكم شيئًا(٩٩).

ثانيًا: حثهم على التوبة إلى الله والمداومة على الطاعة.

التوبة إلى الله والرجوع إليه هي المقصد الأساس من جميع أساليب القرآن في تصحيح أخطاء الأَعراب –وغيرهم أيضًا–، وقد تنوعت أساليب القرآن في حثهم على التوبة، فتارة يخوفهم بعذاب الآخرة، وتارة يذكرهم برحمة الله، وثالثة يذكرهم باطلاع الله عليهم، ورابعة يؤملهم بالخير ويبشرهم بالمزيد، والنماذج على ذلك كثيرة، منها:

١- بعد أن فنَّد أعذارهم الواهية في التخلف عن رسول الله يوم الحديبية، ذكرهم بالتوبة والأوبة، فقال سبحانه: ﴿وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا ١٣ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الفتح: ١٣، ١٤].

فالجملة الكريمة ﴿**يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء وكان الله غفورا رحيما**}: هي انتقال من الترهيب الذي في جملة {قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا} إلى **الترغيب**، ولذلك جاء ذكر (الضر) قبل (النفع) في الآية الأولى فقال: {إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا} [الفتح: ١١] ليكون احتمال إرادة

(٩٩) انظر الطبري: **جامع البيان في تأويل القرآن**. ج٢٢. ص٣١٧. والسمرقندي: **بحر العلوم**. ج٣. ص٣٣٠. وابن كثير: **تفسير القرآن العظيم**. ج٧. ص٣٦٤.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد(١٢)، العدد(٥)، ص ص ٣٥٢٢- ٣٥٨٩ (شعبان ١٤٤٠هـ / مايو ٢٠١٩م)

الضر بهم أسبق في نفوسهم، بينما جاء ذكر المغفرة قبل العذاب في الآية الجملة الكريمة: ﴿يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾ ليتقرر معنى الإطماع في نفوسهم فيبادروا إلى التوبة(١٠٠).

٢-يستخدم معهم مرة أخرى **أسلوب الترغيب والترهيب لحثهم على التوبة:** ﴿قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الأَعراب سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الفتح: ١٦].

وفي هذه الآية يفتح الله لهم باب الأمل، بأنهم إن أطاعوا الله تعالى وجاهدوا مع رسوله ﷺ، فسيكافئهم بالنصر والغنيمة والجنة، ثم يخوفهم بالعذاب الأليم في حال أعرضوا، كما أعرضوا سابقًا يوم الحديبية(١٠١).

٣- وكما يحثهم القرآن على التوبة مما اقترفت أيديهم، فهو يبشرهم بأنهم قد خطو أولى الخطوات في الطريق الصحيح وأنهم إن استمروا فسيزيدهم الله هدى وتقى، ومثال ذلك قول الله تبارك وتعالى لهم: ﴿وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات١٤] فهذه الآية **تحضهم على المواظبة على أعمال الجوارح وأنها ستقودهم تدريجيًا وسترتقي بهم إلى حقيقة الإيمان**، "وهذا أصل كبير في التربية الإسلامية؛ فالقلب البشري يموت أو تسيطر عليه الغفلة، وطريق إحيائه العمل بالإسلام من ذكر وقراءة قرآن، وصلاة وإنفاق وصوم وحج، وغير ذلك من أعمال الإسلام، وبذلك ينتقل القلب من طور إلى طور آخر، حتى يصل إلى الإيمان الكامل... إذا أدركت هذه المعاني كلها، تدرك معنى قوله تعالى: ﴿**وَلَمَّا**

(١٠٠) انظر ابن عاشور: **التحرير والتنوير**. ج٢٦. ص١٦٥-١٦٦.
(١٠١) الزحيلي: **التفسير المنير**. ج٢٦. ص١٧٨.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد(١٢)، العدد(٥)، ص ص ٣٥٢٢- ٣٥٨٩ (شعبان ١٤٤٠هـ / مايو ٢٠١٩م)

يَدْخُلِ الْإِيمانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ فالإيمان لم يدخل بعد وهو على وشك الدخول إذا استمر العمل بالإسلام"(١٠٢) وهذا الأسلوب في التبشير والتحفيز من أعظم الدوافع إلى العمل والترقي والثبات على الدين.

٤- ومن الآيات التي يظهر فيها الحض على التوبة والعمل بأسلوب الترغيب والتبشير: ﴿وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الحجرات: ١٤] قال الرازي: "والمراد أنكم إذا أتيتم بما يليق بضعفكم من الحسنة فهو يؤتيكم ما يليق به من الجزاء... وفيه تحريض على الإيمان الصادق، لأن من أتى بفعل من غير صدق نية يضيع عمله ولا يعطى عليه أجرًا، فقال: وإن تطيعوا وتصدقوا لا ينقص عليكم، فلا تضيعوا أعمالكم بعدم الإخلاص، وفيه أيضًا تسلية لقلوب من تأخر إيمانه، كأنه يقول: غيري سبقني وآمن حين كان النبي وحيدًا وآواه حين كان ضعيفًا، ونحن آمنا عند ما عجزنا عن مقاومته وغلبنا بقوته، فلا يكون لإيماننا وقع ولا لنا عليه أجر، فقال تعالى إن أجركم لا ينقص وما تتوقعون تعطون"(١٠٣).

وفي الآية أيضًا معنى لطيف ودقيق، يظهر فيه **أسمى درجات التبشير والتأميل بالخير، فالأعمال التي وقعتْ من بعض الأَعراب وقت كان إسلامهم رياء أو خوفًا، هي أعمال غير مقبولة –في الأصل– لانتفاء شرط الإخلاص فيها، ولكن الله عز وجل يقرر لهم أنهم إن أخلصوا في قابل أيامهم، فسيعود سبحانه برحمته على تلك الأعمال فيقبلها منهم،** ولم يذكر هذا المعنى أحد من المفسرين –بحدود ما اطلعت عليه– سوى الطاهر بن عاشور، حيث قال رحمه الله: "ومن فرط مغفرته أنه يجازي على الأعمال الصالحة الواقعة في حالة الكفر غير معتد بها، فإذا آمن عاملها جُوزي عليها بمجرد إيمانه، وذلك من فرط رحمته بعباده"(١٠٤).

---

(١٠٢) حوى: **الأساس في التفسير**. ج٩. ص٥٤٣٨.
(١٠٣) الرازي: **مفاتيح الغيب**. ج٢٨. ص١١٧.
(١٠٤) ابن عاشور: **التحرير والتنوير**. ج٢٦. ص٢٦٦.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد(١٢)، العدد(٥)، ص ص ٣٥٢٢- ٣٥٨٩ (شعبان ١٤٤٠هـ / مايو ٢٠١٩م)

٥- ويظهر أسلوب الحضّ على الطاعة والجهاد جليًا في قوله عز وجل: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الأَعراب أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ﴾ [التوبة: ١٢٠] **فقوله: ﴿وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ} تضع حقيقة إيمانهم على محك الاختبار، فكأنها تحثهم أن يقارنوا بين نفوسهم ونفس نبيهم الأكرم ﷺ، فإن كان حبهم له صادقًا فكيف يرضون أن يكابد النبي الأهوال وهم في الراحة والدعة؟!** يقول الزمخشري: "أُمروا بأن يصحبوه على البأساء والضراء، وأن يكابدوا معه الأهوال برغبة ونشاط واغتباط، وأن يلقوا أنفسهم من الشدائد ما تلقاه نفسه، **علمًا بأنها أعزُ نفس عند الله وأكرمها عليه، فإذا تعرضت مع كرامتها وعزتها للخوض في شدّة وهول، وجب على سائر الأنفس أن تتهافت فيما تعرضت له، ولا يكترث لها أصحابها ولا يقيموا لها وزنًا**، وتكون أخف شيء عليهم وأهونه، فضلًا عن أن يَرْبَأُوا بأنفسهم عن متابعتها ومصاحبتها ويضنوا بها على ما سمح بنفسه عليه، وهذا نهى بليغ... وتهييج لمتابعته بأنفة وحمية"(١٠٥).

ثم إن بقية الآية والتي فيها ذكر ثواب العطش والمشي والجوع...إلخ حين يكون في سبيل الله، هو من أعظم التحضيض على الطاعة، فقد "دلت هذه الآية على أن من قصد طاعة الله كان قيامه وقعوده ومشيته وحركته وسكونه كلها حسنات مكتوبة عند الله"(١٠٦).

---

(١٠٥) الزمخشري: **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**. ج٢. ص٣٢١.

(١٠٦) الرازي: **مفاتيح الغيب**. ج١٦. ص١٦٩.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد(١٢)، العدد(٥)، ص ص ٣٥٢٢- ٣٥٨٩ (شعبان ١٤٤٠هـ / مايو ٢٠١٩م)

ثالثًا: تصحيح تصوراتهم.

سلوك الإنسان وتصرفاته وقراراته هي في الأصل نتاج تصوراته وتفكيره، لذا فإن تصحيح التصرف يبدأ من تصحيح التصور الذي نشأ عنه ذلك التصرف، والقرآن الكريم في معالجته لتصرفات الأَعراب المذمومة يركز على تقويم تصوراتهم الباطلة، ومن الأمثلة على ذلك:

١- تصحيح تصورهم حول حقيقة قدرة الله وتأييده المؤمنين: فعندما عاب القرآن عليهم قعودهم عن الجهاد وتخلفهم عن رسول الله ﷺ، كشف القرآن للأَعراب أن الباعث الحقيقي لتخلفهم هو اغترارهم بقوة قريش، وغياب حقيقة قدرة الله عن قلوبهم، فتأتي الآيات لتصحح هذا التصور الخطأ: ﴿ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ۝ بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنْتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا} [الفتح: ١١، ١٢]، "وهذا ردّ عليهم حين ظنوا أن التخلف عن رسول الله ﷺ يدفع عنهم الضر ويجلب لهم النفع"(١٠٧)، وقد جاء الاستفهام في الآية ليقرر في نفوسهم "حقيقة القَدَر الذي لا يدفعه تَخَلُّف، ولا يغيره إقدام، وحقيقة القدرة التي تحيط بالناس وتتصرف في أقدارهم كما تشاء... ﴿ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا} وهو سؤال يوحي بالاستسلام لقدر الله والطاعة لأمره بلا توقف ولا تلكؤ، فالتوقف أو التلكؤ لن يدفع ضررًا، ولا يؤخر نفعًا، وانتحال المعاذير لا يخفى على علم الله، ولا يؤثر في جزائه وفق علمه المحيط، وهو توجيه تربوي في وقته، وفي جوه، وفي مناسبته، على طريقة القرآن"(١٠٨).

٢- **تصحيح تصورهم حول رقابة الله وعلمه:** وذلك حين كذب بعضهم في انتحال الأعذار، يقرر القرآن الكريم أن هذا ناشئ عن تصورهم غياب حقيقة رقابة الله وإحاطته بما يخفون وما يعلنون، فتأتي الآية لتصحح هذا التصور: ﴿ يَقُولُونَ

---

(١٠٧) المراغي: **تفسير المراغي**. ج٢٦. ص٩٤.
(١٠٨) قطب: **في ظلال القرآن**. ج٦. ص٣٣٢١-٣٣٢٢.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد(١٢)، العدد(٥)، ص ص ٣٥٢٢- ٣٥٨٩ (شعبان ١٤٤٠هـ / مايو ٢٠١٩م)

بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا} [الفتح: ١١]، يقول الطبري: "ما الأمر كما يظن هؤلاء المنافقون من الأَعراب أن الله لا يعلم ما هم عليها منطوون من النفاق، بل لم يزل الله بما يعملون من خير وشرّ خبيرًا، لا تخفى عليه شيء من أعمال خلقه، سرّها وعلانيتها، وهو محصيها عليهم حتى يجازيهم بها"(١٠٩).

٣- **تصحيح تصورهم حول الأعذار المقبولة:** فلا تكتفي الآيات السابقة بتصحيح التصور الذي دفعهم لانتحال الأعذار فقط، بل تستطرد الآيات إلى هدف آخر مهم، هو تصحيح تصورهم حول الأعذار المقبولة والأعذار غير المقبولة، فبعد أن ذمتهم آية الفتح السابقة وبينت أن عذرهم غير مقبول: ﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الأَعراب شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا﴾ [الفتح:١١]، يأتي في عقبها وفي ذات السياق: ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا} [الفتح: ١٧].

وفي سورة التوبة يأتي مزيد من تصحيح تصورهم حول الأعذار المقبولة، فتخبرهم الآيات التي جاءت في ذم المعذرين من الأَعراب أن لأصحاب العذر الصادق في عذره علامات، منها أن ينصح لله ولرسوله، وأن لا يتخلف وهو فرح، بل يحزن على ذلك ﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ... وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ} [التوبة: ٩١-٩٢] قال الرازي: "اعلم أنه تعالى لما بين الوعيد في حق من يوهم العذر، مع أنه لا عذر له، ذكر أصحاب الأعذار الحقيقية، وبين أن تكليف الله تعالى بالغزو والجهاد عنهم ساقط... ثم إنه

(١٠٩) الطبري: **جامع البيان في تأويل القرآن**. ج٢٢. ص٢١١.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد(١٢)، العدد(٥)، ص ص ٣٥٢٢- ٣٥٨٩ (شعبان ١٤٤٠هـ / مايو ٢٠١٩م)

تعالى **شرط في جواز هذا التأخير شرطًا معينًا وهو قوله: ﴿إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ ومعناه أنهم إذا أقاموا في البلد احترزوا عن إلقاء الأراجيف، وعن إثارة الفتن، وسعوا في إيصال الخير إلى المجاهدين الذين سافروا، إما بأن يقوموا بإصلاح مهمات بيوتهم، وإما بأن يسعوا في إيصال الأخبار السارة من بيوتهم إليهم،** فإن جملة هذه الأمور جارية مجرى الإعانة على الجهاد"(١١٠)، وقد عبرتْ الآية عن العلامة الثانية لأصحاب الأعذار الحقيقية وهي الحزن ﴿تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ﴾ وهو تعبير بليغ في وصف حزنهم، **"وهو أبلغ من يفيض دمعها، لأنّ العين جُعِلَتْ كأن كلها دمع فائض"**(١١١).

٤- **تصحيح تصورهم حول حقيقة الإيمان:** كما جاء في آيات الحجرات: ﴿قَالَتِ الأَعراب آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ {١٤} إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحجرات: ١٤-١٥] وهذه الآية لا يُقصد بها كل الأَعراب، فهي "وإن خرجت على مخرج العموم، ولكن أراد بها الخاص، وهو بعض الأَعراب"(١١٢)، وهؤلاء الأَعراب زعموا أنهم مؤمنون، فنهاهم القرآن عن ذلك ثم بين لهم حقيقة الإيمان، وقد اختُلف في سبب نهي القرآن لهم عن تسمية أنفسهم باسم الإيمان، وذكر الطبري في ذلك عدة أوجه؛ منها أنهم صدقوا بألسنتهم ولم يُصَدِّقوا قولَهم بالأعمال، وقيل: لأنهم أرادوا أن يَتَسَمّوا بأسماء المهاجرين، وقيل: لأن إسلامهم كان خوفًا من السيف والسبي، ثم رجح الطبري أن السبب في ذلك هو أنهم

---

(١١٠) الرازي: **مفاتيح الغيب**. ج١٦. ص١٢١.
(١١١) الزمخشري: **الكشاف عن غوامض حقائق التنزيل**. ج٢. ص٣٠١.
(١١٢) الماتريدي: **تأويلات أهل السنة**. ج٩. ص٣٣٨.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد(١٢)، العدد(٥)، ص ص ٣٥٢٢- ٣٥٨٩ (شعبان ١٤٤٠هـ / مايو ٢٠١٩م)

أطلقوا القول بإيمانهم دون تقييد، وهذا قد يوهم السامع بأنهم حققوا إيمانهم بالأعمال التي تصدق دعواهم، وهم في الحقيقة لم يكونوا كذلك وقتئذ(١١٣).

والذي يعنينا هو أن القرآن أعطاهم بعد ذلك التصور الصحيح للإيمان، وبين لهم حقيقته فقال لهم: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحجرات: ١٥] **فجاءت هذه الآية لتصحيح تصورهم عن الإيمان** و"إرشادًا للأَعراب الذين قالوا آمنا إلى حقيقة الإيمان فقال إن كنتم تريدون الإيمان فالمؤمنون من آمن بالله ورسوله ثم لم يرتابوا..."(١١٤).

وهكذا في كل مرة يقع فيها خطأ من الأَعراب –أو غيرهم–، تأتي آيات القرآن وتكشف لهم ما انطوت عليه صدورهم أو عقولهم من تصورات أنتجت تلك التصرفات المذمومة، فينقض لهم تلك التصورات، ويبني مكانها تصورات الإيمان، وهو بهذا يعالج القضية من جذورها بدلًا من معالجة مظاهرها، **فالقرآن إذن "لا يكتفي بحكاية أقوال المُخَلَّفين والرد عليها؛ ولكنه يجعل من هذه المناسبة فرصة لعلاج أمراض النفوس وهواجس القلوب والتسلل إلى مواطن الضعف والانحراف لكشفها تمهيدًا لعلاجها والطِّبِّ لها، ثم لإقرار الحقائق الباقية والقيم الثابتة، وقواعد الشعور والتصور والسلوك"**(١١٥).

وأسلوب القرآن هذا في التركيز على معالجة التصورات التي تُنشئ التصرفات الخطأ، فيه توجيه لدعاة اليوم، أن يركزوا على أسباب الأمراض وجذورها أكثر من تركيزهم على مظاهرها وصورها، فإن كثيرًا منهم عند معالجتهم لأمراض الأمة يركزون جهدهم على مظاهر تلك الأمراض ويغفلون الجذور الفكرية والتصورات المشوهة التي أنتجت تلك السلوكات، فلا عجب أن لا يصيب دواؤهم مكمن الداء، لأنهم ركزوا على صورة التصرف أكثر من التصور الذي نجم عنه التصرف.

---

(١١٣) انظر الطبري: **جامع البيان في تأويل القرآن**. ج٢٢. ص٣١٤-٣١٦.
(١١٤) الرازي: **مفاتيح الغيب**. ج٢٨. ص١١٧.
(١١٥) قطب: **في ظلال القرآن**. ج٦. ص٣٣٢١.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد(١٢)، العدد(٥)، ص ص ٣٥٢٢- ٣٥٨٩ (شعبان ١٤٤٠هـ / مايو ٢٠١٩م)

رابعًا: إرشادهم إلى السلوك الصحيح وتقديم نماذج للاقتداء.

لم يكتف القرآن خلال علاجه لأخطاء الأَعراب وغيرهم بأن ينتقد تصرفاتهم الخطأ ويعيبها عليهم فحسب، بل تجده في الغالب يقدم لهم الحل، ويضع بين أيديهم التصرف الصحيح، أو يرشدهم إلى ما هو خير، وهذه هي طبيعة المنهج القرآني العملية الواقعية الحيوية، ومن أمثلة ذلك:

عندما عاب القرآن على بعض الأَعراب مناداتهم رسول الله ﷺ بفظاظة من وراء حجراته ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الحجرات:٤] جاء في الآية التي تلتها مباشرة إرشادهم للتصرف الصحيح الذي كان ينبغي أن يسلكوه: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [الحجرات: ٥] قال سيد قطب: "فبعد أن بين لهم القرآن سوء الأدب في نداء الرسول بالطريقة التي نادوا بها، بين لهم الأَوْلى والأفضل وهو الصبر والانتظار حتى يخرج إليهم وحبب إليهم التوبة والإنابة"(١١٦).

وكذلك حين نهاهم عن قولهم آمنَّا ﴿قَالَتِ الأَعراب آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا﴾ أرشدهم بعدها مباشرة للوصف الصحيح لما ينبغي أن يقولوه عن أنفسهم ﴿قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾.

وهذا الأسلوب فيه توجيه للدعاة والعاملين للدين أن لا يجعلوا انتقادهم للأفكار أو الأعمال انتقادًا نظريًا مجردًا، بل يقدموا مع نقدهم الإيجابي حلولًا واقتراحات وبدائل.

وبعد أن ذكرت سورة التوبة تخلف بعض الأَعراب واعتذار بعضهم عن الجهاد في سبيل الله ﴿وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الأَعراب لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ} [التوبة: ٩٠]، يأتي في ذات السياق وبعد آية واحدة فقط عرضٌ لنموذج فذٍّ مخلص حريص على القيام بواجب الجهاد، ورغم أن لديهم أعذارًا حقيقية إلا أنهم لم يعتذروا بها، بل جاءوا

(١١٦) المرجع السابق، ج٦. ص٣٣٤٠.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد(١٢)، العدد(٥)، ص ص ٣٥٢٢- ٣٥٨٩ (شعبان ١٤٤٠هـ / مايو ٢٠١٩م)

وعرضوا أنفسهم للخروج مع النبي ﷺ: ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ﴾ [التوبة: ٩٢] **وعرض هذا النموذج في سياق الحديث عن هؤلاء الأَعراب المُعَذِّرين هو تربية بالقدوة، وحث لهم على الاقتداء بهذا النموذج الصالح الذي لم يتهرب من واجب الدعوة والجهاد رغم قصر ذات اليد، ورغم أنهم لا يجدون ما يتزودون به للجهاد.**

وكذلك حين يذم بعض الأَعراب الذين يبخلون بالنفقة ولا ينفقونها إلا وهم كارهون، يعقب القرآن على ذلك بذكر نموذج آخر من الأَعراب ينفق مخلصًا لوجه الله تعالى، قال الله عز وجل: ﴿وَمِنَ الأَعراب مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرُبَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ٩٩] **ويأتي في الآية من أساليب البلاغة البيانية ما يُعلي شأن هذا الصنف من الأَعراب ويذكر من عظيم أجرهم وثوابهم عند الله حتى يجعلهم موضع اقتداء لغيرهم**، فمن ذلك ما ذكره صاحب المنار من ألوان البلاغة في التأكيد على قبول صدقتهم بـ "ألا" والتي تفيد التنبيه الدال على الاهتمام، وبـ "إن" الدالة على تحقيق وعد الله لهم بالرحمة، وبالسين في "سيدخلهم" لتأكيد وعده لهم بالرحمة، وباستخدام التعبير "في رحمته" بدل "سيرحمهم" وهو أبلغ حيث يشير إلى أن الرحمة ستغمرهم وتحيطهم وتشملهم(١١٧)، كل هذا للترغيب بالاقتداء بهم.

خامسًا: التربية الواقعية والاختبار العملي.

في تربية الإنسان وتقويم سلوكه لا يكفي التنظير وحده، ولا تكفي التوجيهات القولية للمتربي وهو داخل غرفة الدرس، بل لا بد من المزاوجة بين القول والعمل، ولا شيء يُنضج المتربي كالميدان، فرُبَّ مئات من الدروس النظرية في

(١١٧) انظر رضا: **تفسير المنار**. ج١١. ص١١.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد(١٢)، العدد(٥)، ص ص ٣٥٢٢- ٣٥٨٩ (شعبان ١٤٤٠هـ / مايو ٢٠١٩م)

الشجاعة أو الجرأة في قول الحق مثلًا، لا تؤتي أُكُلًا مثل موقف عملي واحد يُدفع له المتربي دفعًا ليقول كلمة حق أو ينهى عن منكر.

ومن التربية العملية التي استخدمها القرآن الكريم مع الأَعراب، أنه لا يكتفي بذم عيوبهم أو ذكر أخطائهم، بل يُتبع تلك الخطوة بخطوة ثانية، وهي إرشادهم للتصرف الصحيح والسلوك الأقوم.

وينتقل القرآن بهم بعد ذلك خطوة ثالثة، فبعد تصحيح التصور الذي أنتج التصرف الخطأ، وبعد الإرشاد إلى التصرف الصحيح، يأتي ثالثًا الاختبار العملي والتربية الواقعية الميدانية، فنجد على سبيل المثال آيات سورة الحجرات تصحح تصوراتهم الباطلة حول القضاء والقدر ﴿قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا﴾[الحجرات: ١١]، وتصحح تصورهم حول حقيقة الإيمان وأن له تكليفات عملية على رأسها الجهاد في سبيل الله ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الحجرات: ١٥]، أما آيات سورة الفتح فنجد فيها التربية الواقعية والتربية العملية والاختبار الميداني ﴿قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الأَعراب سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الفتح: ١٦].

ولا يعنينا كثيرًا –في هذه الدراسة– اختلاف المفسرين حول هؤلاء القوم الذين دعا القرآنُ الأَعراب لجهادهم، فسواء كانوا (هوازن) في حنين، أو (بني حنيفة) في حروب الردة، أو فارس والروم[١١٨]، فالمهم أنه دعاهم لاختبار عملي

(١١٨) ذكر الطبري في تفسيره تلك الوجوه كلها، ثم رجح أن الصواب أن نكتفي بما ذكره القرآن من كونهم أيَّ قوم فيهم البأس والقوة في القتال، إذ لا دليل على تخصيص قوم بأعيانهم. انظر الطبري: **جامع البيان في تأويل القرآن**. ج٢٢. ص٢١٩-٢٢١.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد(١٢)، العدد(٥)، ص ص ٣٥٢٢- ٣٥٨٩ (شعبان ١٤٤٠هـ / مايو ٢٠١٩م)

سيأتي في قابل الأيام، والمهم هو: "أن نلحظ طريقة التربية القرآنية وطريقة علاج النفوس والقلوب بالتوجيهات القرآنية والابتلاءات الواقعية"(١١٩).

فنلاحظ في آيات الحجرات والفتح السابقة كيف يزاوج القرآن بين التربية النظرية التي تصحح التصورات في الأذهان، وبين التربية العملية التي تُقَوِّم السلوك عمليًا في أرض الواقع وتختبر مدى التغيير الذي أحدثته المرحلة الأولى والثانية من التربية.

وفي هذا الأسلوب القرآني في التعامل مع الأَعراب موعظة وذكرى للمربين والدعاة الذين يَقْصُرُون التعليم داخل غرف مغلقة بعيدًا عن الواقع العملي المعاش، فينتجون لنا أشخاصًا قادرين على المناظرة والمحاجة، لكنهم لا يصلحون ليكونوا قدوات عملية للناس، تستطيل ألسنتهم عند الجدال والمراء، لكن تتقاصر هممهم وأعمالهم عند السلوك والاقتداء.

يقول صاحب المدرسة التربوية الوجدانية في التفسير –سيد قطب– في تعقيبه على آيات من سورة الأحزاب: "**في معترك الحياة ومصطرع الأحداث كانت الشخصية المسلمة تُصاغ**... ولم يُترك المسلمون لهذا القرآن، يتنزل بالأوامر والنواهي، وبالتشريعات والتوجيهات جملة واحدة، **إنما أخذهم الله بالتجارب والابتلاءات، والفتن والامتحانات**، فقد علم الله أن هذه الخليقة البشرية لا تُصاغ صياغة سليمة، ولا تنضج نضجًا صحيحًا، ولا تصح وتستقيم على منهج إلا بذاك النوع من التربية التجريبية الواقعية، التي تحفر في القلوب، وتنقش في الأعصاب وتأخذ من النفوس وتعطي في معترك الحياة ومصطرع الأحداث... ولكن الله لم يدع المسلمين لهذه المشاعر وحدها تربيهم ، وتنضج شخصيتهم المسلمة، بل أخذهم بالتجارب الواقعية"(١٢٠).

---

(١١٩) قطب: **في ظلال القرآن**. ج٦. ص٣٣٢٣.

(١٢٠) قطب سيد: **في ظلال القرآن**. ج٥. ص٢٨٣١-٢٨٣٢.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد(١٢)، العدد(٥)، ص ص ٣٥٢٢- ٣٥٨٩ (شعبان ١٤٤٠هـ / مايو ٢٠١٩م)

سادسًا: إعطاء المخطئ فرصة لتصحيح خطئه.

من ميزات الإنسان أنه يتعلم بالتجربة والخطأ، ولو حُرم المخطئ من تكرار التجربة ولم يُعط فرصة أخرى، لما تطور العلم ولما تقدمت حياة البشر، وإفساح المجال للمخطئ لتصحيح خطئه فيه مراعاة لطبيعته البشرية وفيه فرصة ليكفر عن زلته أو ذنبه، وليثبت استفادته من خطئه وقدرته على التغيير من ذاته وإصلاحها.

وبإمكاننا أن نلاحظ هذا الأسلوب القرآني في التعامل مع الأَعراب من خلال آيات سورة الفتح التي عابت عليهم تخلفهم عن الحديبية، قال الله تعالى ذكره: ﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الأَعراب شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا﴾ [الفتح: ١١] حيث جاء بعدها قول الله تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الأَعراب سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا﴾ [الفتح: ١٦] وفي هذه الآية: "انتقال إلى طمأنة المخلفين بأنهم سينالون مغانم في غزوات آتية ليعلموا أن حرمانهم من الخروج إلى خيبر مع جيش الإسلام ليس لانسلاخ الإسلام عنهم ولكنه لحكمة... وأنهم سيدعون بعد ذلك إلى قتال قوم كافرين كما تُدْعى طوائف المسلمين، فذكرُ هذا في هذا المقام إدخال للمسرة بعد الحزن ليزيل عنهم انكسار خواطرهم من جراء الحرمان، وفي هذه البشارة فرصة لهم ليستدركوا ما جنوه من التخلف عن الحديبية"(١٢١)، فميدان القتال إذن ما يزال مفتوحًا لمن يريد إثبات صدقه وإخلاصه(١٢٢).

ويظهر أن كثيرًا من هؤلاء الأَعراب قد تغير حالهم بعد معالجة القرآن وتربيته لهم، قال القشيري في لطائفه: "**ودلتْ الآية على أنه يجوز أن تكون للعبد بداية غير مرضية، ثم يتغير بعدها إلى الصلاح – كما كان لهؤلاء**"(١٢٣)، **يقصد**

(١٢١) ابن عاشور: **التحرير والتنوير**. ج٢٦. ص١٧٠.
(١٢٢) انظر الزحيلي: **التفسير المنير**. ج٢٦. ص١٧٣.
(١٢٣) القشيري: **لطائف الإشارات**. ج٣. ص٤٢٥.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد(١٢)، العدد(٥)، ص ص ٣٥٢٢- ٣٥٨٩ (شعبان ١٤٤٠هـ / مايو ٢٠١٩م)

الأَعراب، كما يذكر الرازي أن المتخلفين من الأَعراب لم يظلوا على حالهم، بل إن كثيرًا منهم حسن حاله وصلح باله(١٢٤)، وهذا مما يُظهر حكمة الأسلوب القرآني ونجاعته في التربية وتقويم سلوك الأَعراب وغيرهم.

سابعًا: معاقبتهم بالحرمان من مطامعهم التي كانت سببًا في تخلفهم.

من منهج القرآن الكريم في التربية بالعقوبة، أنه يناسب بين طبيعة الجرم والعقوبة، ويوجه العقوبة نحو السبب الذي أدى إلى الخطأ، فهو جرثومة الخطأ وأصلها وجذرها.

وفي قول الله عز وجل: ﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ﴾ [الفتح: ١٥] وذلك أن الأَعراب تخلفوا عن حضور غزوة الحديبية؛ لأنه بدا لهم أنها ستكون غزوة بمغارم دون غنائم، ثم لما تطلعتْ نفوسهم للخروج مع المسلمين إلى خيبر؛ لأنه بدا لهم أنها ستكون غزوة سهلة كثيرة المغانم، جاءتْ العقوبة في هذه الآية، بأن يتم حرمانهم منها(١٢٥).

فلما كان مكمن الداء عندهم النظرة المادية الدنيوية، جاءت العقوبة بحرمانهم منها لاقتلاع سبب الداء من قلوبهم، ولكن ينبغي التنبه إلى أن **هذه العقوبة كانت مقيدة بمدة معينة أو حالة معينة، ليأخذوا درسًا وعبرة، فإذا ما تأدبوا وتغيرتْ نفوسهم، فحينها يُؤذن لهم بالمشاركة والغنيمة، فالعقوبة مرتبطة بسببها، فإذا زال السبب زالت معه العقوبة،** قال الزمخشري: "لن تخرجوا معي أبدًا ما دمتم على ما أنتم عليه من مرض القلوب والاضطراب في الدين"(١٢٦)، كما ذكر ابن

---

(١٢٤) انظر الرازي: **مفاتيح الغيب**. ج٢٨. ص٧٦.

(١٢٥) انظر عبد الرزاق: **تفسير عبد الرزاق**. ج٣. ص٢١١. والطبري: **جامع البيان في تأويل القرآن**. ج٢٢. ص٢١٦. والثعلبي: **الكشف والبيان عن تفسير القرآن**. ج٩. ص٤٦.

(١٢٦) الزمخشري: **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**. ج٤. ص٣٣٨.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد(١٢)، العدد(٥)، ص ص ٣٥٢٢- ٣٥٨٩ (شعبان ١٤٤٠هـ / مايو ٢٠١٩م)

عاشور مثل ذلك، ثم قال: "... ليعلموا أن حرمانهم من الخروج إلى خيبر مع جيش الإسلام ليس لانسلاخ الإسلام عنهم، ولكنه لحكمة نَوْطِ المسببات بأسبابها على طريقة حكمة الشريعة، فهو حرمان خاص بوقعة معينة"(١٢٧).

وفضلًا عن هذه العقوبة المادية **كانت هناك عقوبة معنوية وهي أشد وقعًا على المؤمنين من الأَعراب، تلك العقوبة هي وصمهم بصفة التخلف، فقد تكرر نعتُ بعض الأَعراب بوصف المخلفين أربع مرات**، ثلاث منها في سورة الفتح، والرابعة في سورة التوبة: ﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٨١] وهذه الآية عامة في المتخلفين عن غزوة تبوك(١٢٨)، ومنهم بعض الأَعراب(١٢٩)، **ووصفهم بالمخلفين فيه إيحاء بأنهم كانوا حال تخلفهم لا قيمة لهم، كأنهم متاع ساقط لا يستفاد منه بشيء**، قال النيسابوري: "وقيل: سموا مخلفين لأن التوفيق خلفهم ولم يعتدّ بهم"(١٣٠)، وقال ابن عاشور: "وفيه إيماء إلى أنه ما أذن لهم في التخلف إلا لعلمه بفساد قلوبهم، وأنهم لا يغنون عن المسلمين شيئًا"(١٣١).

وبالإمكان بعد هذا العرض أن نستخلص بعض الإرشادات القرآنية عند استخدام العقوبة وهي:

١- استخدام عقوبات مادية وأخرى معنوية.

٢- تسليط العقوبة على سبب الخطأ وجذره وليس على مظهره.

---

(١٢٧) ابن عاشور: **التحرير والتنوير**. ج٢٦. ص١٧٠.

(١٢٨) انظر عبد الرزاق: **تفسير عبد الرزاق**. ج٢. ص١٦٠. والطبري: **جامع البيان في تأويل القرآن**. ج١٤. ص٤٠٠. وابن أبي حاتم: **تفسير ابن أبي حاتم**. ج٦. ص١٨٥٤.

(١٢٩) انظر الطبري: **جامع البيان في تأويل القرآن**. ج١٤. ص٥٦١. والقرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**. ج٨. ص٢٩٠. وابن كثير: **تفسير القرآن العظيم**. ج٤. ص٢٠٥.

(١٣٠) النيسابوري: **غرائب القرآن ورغائب الفرقان**. ج٦. ص١٤٧.

(١٣١) ابن عاشور: **التحرير والتنوير**. ج١٠. ص٢٨٠.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد(١٢)، العدد(٥)، ص ص ٣٥٢٢- ٣٥٨٩ (شعبان ١٤٤٠هـ / مايو ٢٠١٩م)

٣- توقيت العقوبة أو تحديدها وربطها بسببها بحيث تزول مع زوال السبب، وترتفع بصلاح حال المعاقب.

٤- مراعاة المناسبة بين العقوبة ومقدار الجرم.

وهذه كلها أسس وتوجيهات على المربين والموجهين النظر فيها والإفادة منها عند الاضطرار لاستخدام هذا الأسلوب.

ثامنًا: التلطف بهم.

ولم يُؤخر هذا الأسلوب في الترتيب لتأخره في الأهمية، بل هو من أهم أساليب القرآن في التربية وفي التعامل مع المخطئين، ولكن وُضع في آخر هذا المطلب، للتدليل على وجود التلطف في معظم أساليب القرآن في التعامل معهم، فإعطاؤهم فرصة لتصحيح أخطائهم هو لون من التلطف، وكذلك ربط عقوبة الحرمان من الغنائم بسببها ثم السماح لهم بالغنيمة في مشاهد أخرى إن صحت نفوسهم هو تلطف أيضًا، وتأميلهم بدخول الإيمان إلى قلوبهم بعد أن قال لهم: ﴿قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ [الأحزاب: ١٤]، مثال ثالث على تلطف القرآن بهم.

وزد على ذلك تذكيرهم برحمة الله ومغفرته حتى عند اقترافهم الأخطاء الجسيمة، فحين نهتهم آيات الحجرات عن مناداة النبي ﷺ بغلظة وفظاظة، وبعد أن وصفتْ المنادين بقلة العقل، جاء التلطف في ختام الآيات: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُون ، وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الحجرات: ٤-٥] حيث ذكرهم في ختام الآية بمغفرة الله ورحمته وهذا من أساليب القرآن في المزج بين الحزم والشدة من جهة وبين اللين واللطف من جهة أخرى، وهو أسلوب جدير أن يُقتدى به، إذ الملاحظ عند بعض الدعاة والمربين إفراطهم في الحزم أو إفراط في اللين، أو تعميمهم أحد الأسلوبين على جميع الخلق، وكل ذلك خطأ، والصواب المزج بين اللين والحزم بحكمة يُراعى فيها حال المخاطب وظرفه وطبيعة زمانه ومكانه.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد(١٢)، العدد(٥)، ص ص ٣٥٢٢- ٣٥٨٩ (شعبان ١٤٤٠هـ / مايو ٢٠١٩م)

وبالإضافة لما سبق ذكره من أساليب القرآن في التعامل مع الأَعراب، هناك أساليب أخرى؛ مثل كشف كذبهم والتحذير من شر منافقيهم وفضحهم، وكذا عدم قبول أعذارهم الواهية وتفنيد حججهم وادعاءاتهم، ولا داعي للتفصيل في هذه الأساليب، إذ بالإمكان لحظُها من خلال عرض القرآن لصنف المنافقين من الأَعراب، ومن خلال عرضه لأوصافهم المذمومة كما في المبحث الثاني من الدراسة.

المطلب الثالث: توجيهات القرآن لدمج الأَعراب في المجتمع المؤمن وحركته لعمارة الأرض.

لما كان عيش البداوة والتَّعَرُّب يتناقض مع مقصد الإسلام في الاستخلاف وعمارة الأرض، حرص القرآن على دمجهم في المجتمع المؤمن، من خلال بيعة بعضهم على الهجرة، وقد ورد ما يثبتُ ذلك في السُّنة النبوية(١٣٢)، ولا مجال للتفصيل فيه ههنا تماشيًا مع طبيعة هذه الدراسة القرآنية، وأما الهدف من حثهم على الهجرة فهو "لأجل العلم والنصرة؛ لأن الإسلام دين علم وحضارة"(١٣٣).

وقد ورد في القرآن عدة توجيهات لدمج الأَعراب في مجتمع المدينة، والذي كان يمثل بؤرة البعث الإسلامي للحضارة، ومن تلك التوجيهات:

١- **حثهم على الهجرة**، فقدر روى بعض أهل التفسير في قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الأنفال: ٧٢] عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: "يعني: إن استنصركم الأَعراب المسلمون، أيها المهاجرون والأنصار، على عدوهم، فعليكم أن تنصروهم، إلا على قوم بينكم وبينهم

(١٣٢) انظر باب بيعة الأَعراب في صحيح البخاري من كتاب الأحكام. ج٩. ص٧٩.
(١٣٣) رضا: **تفسير المنار**. ج١١. ص٨.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد(١٢)، العدد(٥)، ص ص ٣٥٢٢- ٣٥٨٩ (شعبان ١٤٤٠هـ / مايو ٢٠١٩م)

ميثاق"(١٣٤)، والآية فيها أمر بعدم نصرة الأَعراب وغيرهم ممن لم يهاجروا إلى المدينة، إن كان المعتدي عليهم له ميثاق(١٣٥)، وهذا الأمر يُظهر بجلاء أهمية الهجرة وكم كان تحضيض القرآن عليها.

٢- **تقديم العون بالمال**: فقد جاء الأمر به لهم ولسائر المؤمنين في قوله عز وجل: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِم﴾ [التوبة: ١٠٣] والذين أُمر النبي ﷺ بالتوجه لهم بهذا الأمر هم الذين اعترفوا بذنبهم في التخلف عن غزوة تبوك كما في الآية التي سبقتها(١٣٦)، وقد ذكر بعض المفسرين أن بعض الأَعراب هم من هؤلاء الذين اعترفوا بذنوبهم وخلطوا عملًا صالحًا وآخر سيئًا(١٣٧)، وسواء أكانت الآية خاصة فيهم أو في غيرهم، فإن حكمها عام، ولم يختلف المفسرون في أن بعض الأَعراب تخلفوا عن تبوك، ولا يُستبعد أن يعترف بعض الأَعراب المتخلفين عن تبوك بذنوبهم، وعلى هذا فلا يُستبعد أيضًا أن يشملهم الأمر بأخذ تلك الصدقة، وقد جاء في السنة النبوية ما يُثبت أن النبي كان يأمرهم بأداء ما عليهم من حق في أموالهم(١٣٨)، وهذا مظهر من مظاهر نصرة المجتمع المؤمن وتقوية المؤمنين على نشر الإسلام وتثبيت أركانه.

---

(١٣٤) الطبري: **جامع البيان في تأويل القرآن**. ج١٤. ص٨٣. ابن أبي حاتم: **تفسير ابن أبي حاتم**. ج٥. ص١٧٤٠.

(١٣٥) انظر الجصاص: **أحكام القرآن**. ج٣. ص٩٨. وابن العربي: **أحكام القرآن**. ج٢. ص٤٩٣.

(١٣٦) انظر الطبري: **جامع البيان في تأويل القرآن**. ج١٤. ص٤٥٣-٤٥٤. وابن أبي حاتم: **تفسير ابن أبي حاتم**. ج٦. ص١٨٧٥. والبغوي: **معالم التنزيل في تفسير القرآن** طبعة إحياء التراث. ج٢. ص٣٨٣.

(١٣٧) انظر الطبري: **جامع البيان في تأويل القرآن**. ج١٤. ص٤٥٢. وابن أبي حاتم: **تفسير ابن أبي حاتم**. ج٦. ص١٨٧٣. ابن عطية: **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**. ج٣. ص٧٧.

(١٣٨) من ذلك ما أخرجه البخاري: "جاء أعرابي إلى النبي ﷺ، فسأله عن الهجرة، فقال: «ويحك إن الهجرة شأنها شديد، فهل لك من إبل؟» قال: نعم، قال: «فتعطي صدقتها؟»، قال: نعم، قال: «فهل تمنح منها شيئًا؟»، قال: نعم، قال: «فتحلبها يوم وردها؟»، قال: نعم، قال: «فاعمل من وراء البحار، فإن الله لن يترك من عملك شيئًا». (البخاري: **صحيح البخاري**. كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها. باب فضل المنيحة. ج٣. ص١٦٦. حديث رقم: ٢٦٣٣. وأيضًا ما أخرجه من قصة الأَعرابي الذي جاء يسأل عن شرائع الإسلام وفيه: ==

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد(١٢)، العدد(٥)، ص ص ٣٥٢٢- ٣٥٨٩ (شعبان ١٤٤٠هـ / مايو ٢٠١٩م)

٣- **حثهم على المشاركة في الغزو والجهاد لنشر الدين** ودفع الظلم عن الناس وعمارة الأرض، قال الله عز وجل: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الأَعراب أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِه﴾ [التوبة: ١٢٠] وهذه الآية عامة في جميع الأَعراب حول المدينة المنورة، وتخصيصها ببعض القبائل دون بعض تحكم دون دليل(١٣٩)، ومعنى الآية: "لا ينبغي لأهل المدينة حاضرة الإسلام ومقر الرسول ﷺ، ولا من حولهم من الأَعراب –كمزينة وجهينة وأشجع وغفار وأسلم– أن يتخلفوا عن رسول الله، في غزو في سبيل الله كما فعل بعضهم في غزوة تبوك، ولا في غيره من شؤون الأمة ومصالح الملة، ولا أن يفضّلوا أنفسهم على نفسه فيرغبوا في الراحة والسلامة ولا يبذلوها فيما يبذل فيها نفسه الشريفة، بل عليهم أن يصحبوه في البأساء والضراء وأن يكابدوا معه الأهوال برغبة ونشاط"(١٤٠).

٤- **حثهم على الاختلاف إلى المدينة المنورة، وحضور مجالس العلم والفقه فيها**، وهو ما يُفهم من قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُون﴾ [التوبة: ١٢٢] والأمر فيها عائد إلى أهل المدينة ومن حولهم من الأَعراب، وقد ذكر الطبري عدة وجوه في هذه الآية: أولها أن الأَعراب انصرفوا عن البادية إلى النبي ﷺ خشية أن يكونوا ممن تخلف، والآخر أنهم انصرفوا جميعًا إلى الغزو حتى قلَّ الناس في المدينة، والثالث **عن ابن عباس وخلاصته أنه كان يأتي من كل حي من العرب طائفة من قومهم فيتفقهوا في الدين ويسألوا رسول الله ﷺ عما يريدون ثم يرجعون إلى أحيائهم فينذرونهم**

"... فقال: أخبرني بما فرض الله علي من الزكاة؟ فقال: فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم شرائع الإسلام...» (البخاري: **صحيح البخاري**. كتاب الصوم. باب وجوب صوم رمضان. ج٣. ص٢٤. حديث رقم: ١٨٩١.

(١٣٩) انظر الرازي: **مفاتيح الغيب**. ج١٦. ص١٦٩. وابن عادل: **اللباب في علوم الكتاب**. ج١٠. ص٢٣٦.

(١٤٠) المراغي: **تفسير المراغي**. ج١١. ص٤٥.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد(١٢)، العدد(٥)، ص ص ٣٥٢٢- ٣٥٨٩ (شعبان ١٤٤٠هـ / مايو ٢٠١٩م)

ويبلغونهم ما تعلموه(١٤١)، وقد يكون الحاصل أن كل وجه من الوجوه حصل من بعض الأحياء والقبائل فوقعت كلها، وأيا كان الصواب في ذلك، فإن الآية تُظهر لنا أنه تم دمج الأَعراب وأحيائهم في الحركة العلمية في المدينة المنورة، وكذا في حركة الدعوة والجهاد ونشر الدين.

والآية السابقة من أظهر الآيات التي تبين هدف القرآن في تغيير طبيعة الحياة القبلية عند العرب عمومًا، وطبيعة البداوة عند الأَعراب خصوصًا، فانتقال مجتمع المؤمنين لدوره الحضاري بحاجة لتوزيع الجهود بين القتال والعلم والتجارة والبناء...إلخ، يقول صاحب الظلال: "ويبدو أن تنزل القرآن في هذه السورة بالنكير على المتخلفين والتنديد بالتخلف، وبخاصة من أهل المدينة ومن حولهم من الأَعراب؛ قد جعل الناس يتزاحمون في المدينة ليكونوا رهن إشارة رسول الله ﷺ وبخاصة من القبائل المحيطة بالمدينة، مما اقتضى بيان حدود النفير العام... فقد اتسعت رقعة الأرض الإسلامية حتى كادت الجزيرة كلها تدين للإسلام... وقد آن أن تتوزع الجهود في الجهاد وفي عمارة الأرض وفي التجارة وفي غيرها من شؤون الحياة التي تقوم بها أمة ناشئة، وهي تختلف عن مطالب القبيلة الساذجة، وعن حاجات المجتمع القبلي الأولية"(١٤٢).

المطلب الرابع: الإفادة من أساليب القرآن في التعامل مع الأَعراب للحد من ظاهرة التخلف عن نصرة الإسلام.

القرآن كتاب الله الخالد، دستور المؤمنين في حياتهم، الصالح لكل زمان ومكان، يُعتبر بآياته البينات ومنهاجه القويم على تَقَلُّب الأجيال واختلاف الأحوال، وما سِيق في هذه الدراسة من أساليب القرآن في التعامل مع الأَعراب، ينطبق عليه – ولا شك– ما ينطبق على سائر آيات القرآن من كونها مرجعًا قويمًا ودستورًا حكيمًا، يُرجع عليه ويُقتبس منه في حاضر هذه الأيام، وإن تطاول العهد وامتدتْ السنون والقرون.

---

(١٤١) انظر الطبري: **جامع البيان في تأويل القرآن**. ج١٤. ص٥٦٦-٥٦٩.
(١٤٢) قطب: **في ظلال القرآن**. ج٣. ص١٧٣٤.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد(١٢)، العدد(٥)، ص ص ٣٥٢٢- ٣٥٨٩ (شعبان ١٤٤٠هـ / مايو ٢٠١٩م)

ومع أن عيش البداوة قد تناقص في أيامنا هذه عمَّا كان عليه في زمن تَنَزُّل القرآن الكريم، ومع أن كثيرًا من الأَعراب اندمجوا في حياة المدن والحواضر، إلا أن حاجتنا للاستفادة من منهج القرآن وأساليبه في التعامل مع الأَعراب ومع التعرب شديدة، وليس من المبالغة القول: إن حاجتنا لها في هذه الأيام أشدُّ وأمسُّ.

والسبب أن كثيرًا من طبائع الأَعراب التي ذمها القرآن الكريم، نجدها في شريحة واسعة من أمة الإسلام اليوم، فلئن أساء بعض الأَعراب الأدب بندائهم رسول الله من وراء حجراته، فكم من المسلمين اليوم يسيء أدبه مع سنة المصطفى ﷺ، ولئن كان عيش البداوة هو السبب في جدارة الأَعراب أن لا يعلموا حدود ما أنزل الله، فإن حملات التغريب والغزو الفكري والسلخ عن ثقافة الإسلام، فضلًا عن ثقل مستلزمات الحياة المادية، كل أولئك جعل السواد الأعظم من مسلمي اليوم أجدر بأن لا يفقهوا حقائق الإسلام وأحكامه، وإذا كان بعض الأَعراب مخلفين عن رسول الله، فكم من المسلمين اليوم مخلفون عن نصرة الدين ونجدة المظلومين، والحجة هي ذات الحجة القديمة {شغلتنا أموالنا وأهلونا}، وإن ناقشتهم ثم ألزمتهم بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله، عادوا لنفس أساليب الأَعراب في التهرب من المسؤولية والالتواء للتملص من تكليفات الإسلام، ولا حاجة للاستطالة في عقد المقارنات بين الأَعراب الذين ذمهم القرآن قديمًا، وبين أحفادهم اليوم من أبناء الإسلام المتخلفين عن نصرة الدين وحركة الأمة الحضارية، فالأمر واضح جلي، **والمشكلة هي ذاتها، وإن كان عيش الأَعراب قديمًا في خيمة وبادية، وعيش المتصفين بصفاتهم اليوم في قصور وأبراج عاتية، إذ العبرة بتطابق الحقائق والصفات، وليس باختلاف المساكن والبيئات.**

ولقد أشار بعض المفسرين المحدثين لبقاء أخطر صفات الأَعراب المذمومة في كثير من الناس في العصر الحاضر، فمن ذلك ما قاله صاحب الظلال: "وكذلك يظن الناس بالجماعة المؤمنة، الناس من أمثال أولئك الأَعراب المنقطعين عن الله... هكذا يظنون دائمًا بالجماعة المؤمنة عندما يبدو أن كفة الباطل هي الراجحة... هكذا يظن الأَعراب وأشباههم في كل زمان

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد(١٢)، العدد(٥)، ص ص ٣٥٢٢- ٣٥٨٩ (شعبان ١٤٤٠هـ / مايو ٢٠١٩م)

أن المؤمنين لا ينقلبون إلى أهليهم أبدًا إذا هم واجهوا الباطل المنتفش بقوته الظاهرة، ومن ثم يتجنبون المؤمنين حبًا للسلامة، ويتوقعون في كل لحظة أن يُستأصلوا وأن تنتهي دعوتهم فيأخذون هم بالأحوط ويبعدون عن طريقهم المحفوف بالمهالك"(١٤٣).

وفي معرض الآيات التي نهتْ الأَعراب عن تسمية أنفسهم بالإيمان، ثم أبانتْ لهم الميزان الحقيقي للإيمان، يقول سعيد حوى: "وبتطبيقنا هذا الميزان الذي ورد في الآية على كل من يقول إنه مسلم نجد أن كثيرين ممن يدّعون الإيمان تشبه دعواهم دعوة الأَعراب، ويبدو أن كثيرين من الناس حتى بعد ذكر ميزان الإيمان سيجادلون وسيدّعون، وسيبررون تركهم للجهاد بالمال والنفس، مع رغبتهم بالاحتفاظ باسم الصلاح والصدق والإيمان، ومن ثم جاء بعد ذلك قوله تعالى: {قُلْ أَتُعَلِّمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ} [الحجرات: ١٦]"(١٤٤).

وخلاصة القول: إن أساس مشكلة الأَعراب قديما كانت في تخلفهم عن نصرة الإسلام، وانعزالهم عن حركة الأمة الإسلامية في دعوتها وجهادها وسعيها لعمارة الأرض، ولا تزال هذه المشكلة مترسخة في نفوس كثير من المسلمين اليوم، ممن يظنون أن الإسلام طقوس شعائرية، وواجبات فردية فقط، ولا يعنيهم صناعة أمة مسلمة متحضرة، في ظاهرة تشبه ظاهرة التعرب التي نهى عنها النبي ﷺ، تشبهها في مضمونها وصفاتها وآثارها السلبية، وإن اختلفت عنها في حكمها الشرعي ومظهرها الوجودي، وكما أن الأحكام تدور مع علتها وجودًا وعدمًا، فكذلك حقائق الأشياء تدور مع مضمونها وآثارها أكثر مما تدور مع مظاهرها وأشكالها.

وفي ضَوء ما عرضه القرآن الكريم من أساليب التعامل مع الأَعراب وتصحيح أخطائهم، ينبغي على الدعاة والمصلحين اليوم، -أفرادًا كانوا أو جماعات- أن يستفيدوا من أساليب القرآن في التعامل مع الأَعراب، وتصحيح أخطائهم ودمجهم في حركة الأمة الدعوية والجهادية والحضارية، فيطبقوا تلك الأساليب للحد من ظاهرة التخلف عن نصرة الإسلام ونهضة الأمة اليوم، وفي سبيل ذلك يغدو لزامًا عليهم:

---

(١٤٣) قطب: **في ظلال القرآن**. ج٦. ص٣٣٢٢.
(١٤٤) حوى: **الأساس في التفسير**. ج٩. ص٥٤٢٢.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد(١٢)، العدد(٥)، ص ص ٣٥٢٢- ٣٥٨٩ (شعبان ١٤٤٠هـ / مايو ٢٠١٩م)

١- استخدام أسلوب تصحيح التصورات التي ينشأ عنها التصرفات الباطلة، وذلك لتصحيح مفهوم الناس المشوه حول العبادة في الإسلام، حيث يقصرونها على التكليفات الفردية، ويغفلون عن الواجبات الجماعية التي على المؤمن أن يؤديها تجاه أمته ونصرة لدينه.

٢- استخدام أسلوب القرآن في الحث على الطاعات الجماعية والترغيب فيها، والتركيز على النمط الغائب من واجبات المسلم، كمحاربة الفساد والوقوف في وجه الظلم ونصرة المظلومين والشهادة بالحق والقيام بها، وخدمة الحضارة الإنسانية، ونصرة الإسلام بالإنتاج والاكتشاف والاختراع، وغيرها من الواجبات التي يعبر أداؤها عن قيام المسلم بجزء من دوره في الحضاري في الأمة.

٣- الوصول إلى سكان المناطق النائية والبعيدة عن المراكز العلمية والحركة الثقافية، لأنه بسبب نأيهم قد يقعون بما وقع به الأَعراب من جهل واعتزال لهموم الأمة، وكذا إرسال البعثات الدعوية والتعليمية لهم لتوعيتهم بأحكام دينهم، ولإرشادهم لأخذ دورهم في الأمة الإسلامية.

٤- نشر فقه الدعوة إلى الله، وما يلزم الداعية من ثقافة وصفات وأخلاق وقواعد وأساليب ووسائل، تعينه على ممارسة الدعوة إلى الله على بصيرة.

٥- الحرص على توفير الأدوات والوسائل اللازمة لإشراك كافة المؤمنين في أداء الواجبات الجماعية، وذلك يشمل تجهيز المزيد والمزيد من الهيئات والمراكز والتشكيلات التي يتم من خلالها تفعيل الطاقات المهدرة، واستغلال الإبداعات في مختلف المجالات.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد(١٢)، العدد(٥)، ص ص ٣٥٢٢- ٣٥٨٩ (شعبان ١٤٤٠هـ / مايو ٢٠١٩م)

الخاتمة والنتائج:

بعد أن تم استقراء آيات القرآن في موضوع الأَعراب، وبعد دراستها وتناولها بالتحليل والاستنباط، خلصتْ هذه الدراسة إلى النتائج الآتية:

- الأَعراب هم سكان البادية من العرب.
- تحدث القرآن الكريم عن أصناف الأَعراب من مؤمنين وكافرين ومنافقين.
- اهتم القرآن الكريم بالأَعراب وأخذهم بمنهجه وأسلوبه الفريد في التعامل والتربية.
- تعامل القرآن الكريم مع الأَعراب من حيث الحكم عليهم بعدل، فلم يعمم أحكامه عليهم، ولم يصنفهم على شاكلة واحدة، كما نوع في أساليب معاملتهم بحسب تنوع حالاتهم.
- للبيئة التي يعيشها الأَعراب أثر واضح في تكوين شخصياتهم وتشكيل سلوكهم وطباعهم.
- الصفات التي ذمها القرآن في الأَعراب بعضها كان عامًا فيهم كالغلظة والفظاظة وقلة العلم، وبعضها كان في منافقيهم وضعاف الإيمان منهم، كالكذب وسوء الظن والتهرب من المسؤوليات وغيرها.
- استخدم القرآن الكريم عدة أساليب في تصحيح أخطاء الأَعراب كتصحيح تصوراتهم، وحثهم على التوبة، وإرشادهم للسلوك الصحيح وغيرها.
- تميزت التربية القرآنية للأَعراب –وغيرهم– بأنها تربية عملية واقعية، وظهر ذلك في ضرب نماذج الاقتداء للأَعراب، وفي اختبارهم عمليًا، وفي إعطاء المخطئين الفرص لتصحيح الخطأ عمليًا.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد(١٢)، العدد(٥)، ص ص ٣٥٢٢- ٣٥٨٩ (شعبان ١٤٤٠هـ / مايو ٢٠١٩م)

- استخدم القرآن مع بعض الأَعراب أسلوب العقوبة، ولكن جعلها متناسبة مع طبيعة الخطأ، ومسلطة إلى سبب الخطأ لا إلى مظهره، كما جعلها مقيدة بوجود السبب، وتزول مع زواله.

- مشكلة الأَعراب الأساسية كانت في تخلفهم عن نصرة الإسلام، وعدم اندماجهم في المجتمع المؤمن، وقعودهم عن حركة الأمة المؤمنة في انبعاثها الحضاري.

- استخدم القرآن عدة أساليب لدمج الأَعراب في حركة الأمة المؤمنة الحضارية وللاستفادة من طاقاتهم وقدراتهم؛ فحثهم على الهجرة، وعلى الحضور للمدينة لتلقي العلم، كما ألزمهم بأداء واجباتهم المالية تجاه المجتمع المؤمن، وحرَّضهم أيضًا على المشاركة في الغزو والجهاد في سبيل الله.

- يظهر سمو المنهج القرآني في التعامل مع الأَعراب من خلال تَغَيُّر حال كثير من الأَعراب من الإسلام الظاهري إلى الإيمان الحقيقي الصادق، ومشاركتهم وإسهامهم في الدعوة والجهاد.

- ثراء النص القرآني واكتنازه كمًّا كبيرًا من المعاني والتوجيهات والإرشادات، وموضوع الأَعراب في القرآن مثال شاهد على ذلك، وكثيرًا ما حوت آية واحدة من الآيات الواردة في شأن الأَعراب على العديد من صفاتهم وطبائعهم فضلًا عن بعض التوجيهات والإرشادات في تعاملهم، كل ذلك في نص قصير.

- تعامل القرآن مع الأَعراب خصوصًا والعرب عمومًا، ونجاحه في تحويل هذه الأمة من أمة ساكنة في غياهب الصحراء إلى منار للحضارة والمدنية هو مظهر من مظاهر إعجازه.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد(١٢)، العدد(٥)، ص ص ٣٥٢٢- ٣٥٨٩ (شعبان ١٤٤٠هـ / مايو ٢٠١٩م)

الأَعراب في القرآن الكريم "دراسة موضوعية"

The Bedouin Arabs in the Holy Quran

"Subjective study "

By:

Dr. Mohsen S. Al-Khaldi

Associated Professor at Colleges of Sharia and high studies

At An-Najah National University

Nablus/Palestine

Mohammad W. Jalad

Researcher in the field of Tafser and Holly Quran since

Master degree from An-Najah National University

Research summary:

This research studies the subject of Bedouin Arabs in the holy Quran. The research identifies the term literally and figuratively. It also covers the three categories in which they were mentioned in the Quran; believers, hypocrites and nonbelievers .as well as their characteristics as mentioned in the holy Quran, which was not limited to vituperation, but a big part of it complimented the believers and righteous ones of them.

The study also focuses on the Quran's methodology with Bedouin Arabs and dealing with their mistakes, as to move them from the Bedouin, isolated life in the desert into a society of believers, also to benefit from them in the Islamic civilization.

The study aimed at using the Quran's methodology in dealing with Bedouin Arabs as an example in our current days. As it can be used to benefit in fields of education, advocacy and reform, especially with the existence of many of the Bedouin Arabs' bad characteristics in nowadays' urban societies.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد(١٢)، العدد(٥)، ص ص ٣٥٢٢- ٣٥٨٩ (شعبان ١٤٤٠هـ / مايو ٢٠١٩م)

قائمة المصادر والمراجع:

- **القرآن الكريم.**

١- الألباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين الأشقودري (ت:١٤٢٠هـ): **أحكام الجنائز**. المكتب الإسلامي. (ط٤) ١٤٠٦هـ.
٢- الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد الهروي (٣٧٠هـ): **معاني القراءات**. مركز البحوث في كلية الآداب جامعة الملك سعود- السعودية. (ط١) ١٤١٢هـ.
٣- الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني (ت: ١٢٧٠): **روح المعاني**. تحقيق: علي عطية. دار الكتب العلمية- بيروت. (ط١) ١٤١٥هـ.
٤- البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل الجعفي (ت: ٢٥٦هـ): **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه** (صحيح البخاري). تحقيق محمد زهير الناصر. دار طوق النجاة- (ط١) ١٤٢٢هـ.
٥- البزار، أبو بكر أحمد بن عمرو العتكي: **البحر الزخار**. تحقيق محفوظ الرحمن زين الدين وآخرون. مكتبة العلوم والحكم- المدينة المنورة. (ط١) ١٩٨٨-٢٠٠٩م.
٦- ابن بطال، أبو الحسن علي بن خلف (ت:٤٤٩هـ): **شرح صحيح البخاري**. تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم. مكتبة الرشد- الرياض. (ط٢) ١٤٢٣هـ.
٧- البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود بن الفراء (ت: ٥١٠هـ): **معالم التنزيل في تفسير القرآن**. تحقيق: عبد الرزاق المهدي. دار إحياء التراث العربي- بيروت. (ط١) ١٤٢٠هـ.
٨- البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن (ت: ٨٨٥هـ): **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**. دار الكتاب الإسلامي- القاهرة.
٩- البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر الشيرازي: **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**. تحقيق: محمد المرعشلي. دار إحياء التراث العربي- بيروت. (ط١) ١٤١٨هـ.
١٠- الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة (ت: ٢٧٩هـ): **سنن الترمذي**. تحقيق: أحمد شاكر وآخرون. شركة مكتبة ومطبعة البابي الحلبي- مصر. (ط٢) ١٣٩٥هـ.
١١- الثعلبي، أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم (ت: ٤٢٧هـ): **الكشف والبيان عن تفسير القرآن**. تحقيق: محمد بن عاشور. دار إحياء التراث العربي- لبنان. (ط١) ١٤٢٢هـ.
١٢- الجرجاني، علي بن محمد: **التعريفات**. تحقيق: مجموعة من العلماء. دار الكتب العلمية- بيروت. (ط١) ١٤٠٣هـ.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد(١٢)، العدد(٥)، ص ص ٣٥٢٢- ٣٥٨٩ (شعبان ١٤٤٠هـ / مايو ٢٠١٩م)

١٣- ابن جزي، أبو القاسم محمد بن أحمد بن محمد الكلبي الغرناطي (ت: ٧٤١هـ): **التسهيل في علوم التنزيل**. تحقيق: عبد الله الخالدي. شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم- بيروت. (ط١) ١٤١٦هـ.

١٤- الجصاص، أبو بكر أحمد بن علي الرازي الحنفي (ت: ٣٧٠هـ): **أحكام القرآن**. تحقيق: عبد السلام شاهين. دار الكتب العلمية- بيروت. (ط١) ١٤١٥هـ.

١٥- الجوهري أبو نصر إسماعيل بن حماد الفارابي (ت: ٣٩٣هـ): **تاج اللغة وصحاح العربية**. تحقيق: أحمد عطار. دار العلم للملايين- بيروت. (ط٤) ١٤٠٧هـ.

١٦- ابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس التميمي (ت: ٣٢٧هـ): **تفسير ابن أبي حاتم**. تحقيق: أسعد محمد الطيب. مكتبة نزار مصطفى الباز- السعودية. (ط٣) ١٤١٩هـ.

١٧- ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ): **فتح الباري شرح صحيح البخاري**. ترقيم: محمد فؤاد عبدالباقي. دار المعرفة- بيروت. ١٣٧٩هـ.

١٨- ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد الشباني: **مسند الإمام أحمد**. تحقيق: أحمد شاكر. دار الحديث- القاهرة. (ط١) ١٤١٦هـ.

١٩- حوى، سعيد (ت: ١٤٠٩هـ): **الأساس في التفسير**. دار السلام- القاهرة. (ط٦) ١٤٢٤هـ.

٢٠- أبو حيان، أثير الدين محمد بن يوسف بن علي الأندلسي (ت: ٧٤٥هـ): **البحر المحيط في التفسير**. تحقيق: صدقي جميل. دار الفكر- بيروت. ١٤٢٠هـ.

٢١- الخازن، أبو الحسن علاء الدين علي بن محمد الشيحي (ت: ٧٤١هـ): **لباب التأويل في معاني التنزيل**. تصحيح: محمد علي شاهين. دار الكتب العلمية- بيروت. (ط١) ١٤١٥هـ.

٢٢- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن محمد الحضرمي الإشبيلي (ت: ٨٠٨هـ): **ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**. تحقيق: خليل شحادة. دار الفكر- بيروت. (ط٢) ١٤٠٨هـ.

٢٣- الرازي، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر (ت: ٦٦٦هـ): **مختار الصحيح**. تحقيق: يوسف الشيخ محمد. المكتبة العصرية- بيروت. والدار النموذجية- صيدا. (ط٥) ١٤٢٠هـ.

٢٤- الرازي، أبو عبد الله فخر الدين (ت: ٦٠٦هـ): **مفاتيح الغيب**. دار إحياء التراث العربي- بيروت. (ط٣) ١٤٢٠هـ.

٢٥- رضا، محمد رشيد بن علي القلموني (ت: ١٣٥٤هـ): **تفسير المنار**. الهيئة المصرية العامة للكتاب. ١٩٩٠م.

٢٦- ابن زنجلة، أبو زرعة عبد الرحمن بن محمد (٤٠٣هـ): **حجة القراءات**. تحقيق: سعيد الأفغاني. دار الرسالة.

٢٧- الزبيدي، أبو الفيض محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني (ت: ١٢٠٥هـ): **تاج العروس**. تحقيق: مجموعة من المحققين. دار الهداية.

٢٨- الزجاج، أبو إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل (ت: ٣١١هـ): **معاني القرآن وإعرابه**. تحقيق: عبد الجليل شلبي. عالم الكتب- بيروت. (ط١) ١٤٠٨هـ.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد(١٢)، العدد(٥)، ص ص ٣٥٢٢- ٣٥٨٩ (شعبان ١٤٤٠هـ / مايو ٢٠١٩م)

٢٩- الزحيلي، وهبة بن مصطفى (معاصر): **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**. دار الفكر المعاصر- دمشق. (ط٢) ١٤١٨هـ.
٣٠- الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد (ت: ١٣٩٦هـ): **الأعلام**. دار العلم للملايين. (ط١٥) ٢٠٠٢م.
٣١- الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمرو (ت: ٥٣٨هـ): **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**. دار الكتاب العربي- بيروت. (ط٣) ١٤٠٧هـ.
٣٢- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله (ت: ١٣٧٦هـ): **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**. تحقيق: عبد الرحمن اللويحق. مؤسسة الرسالة. (ط١) ١٤٢٠هـ.
٣٣- أبو السعود، العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت: ٩٨٢هـ): **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**. دار إحياء التراث العربي- بيروت.
٣٤- السمعاني، أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار المروزي (ت: ٤٨٩هـ): **تفسير القرآن**. تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم. دار الوطن- الرياض. (ط١) ١٤١٨هـ.
٣٥- السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم: **بحر العلوم**.
٣٦- الشعراوي، محمد متولي (ت: ١٤١٨هـ): **تفسير الشعراوي**. مطابع أخبار اليوم. ١٩٩٧م.
٣٧- الشوكاني، محمد بن علي بن عبد الله اليمني (ت: ١٢٥٠هـ): **فتح القدير**. دار ابن كثير- دمشق. ودار الكلم الطيب- بيروت. (ط١) ١٤١٤هـ.
٣٨- الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد (ت: ٥٠٢هـ): **المفردات في غريب القرآن**. تحقيق: صفوان الداودي. دار القلم- دمشق. والدار الشامية- بيروت. (ط١) ١٤١٢هـ.
٣٩- الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الشامي (ت: ٣٦٠هـ): **المعجم الأوسط**. تحقيق: طارق عوض الله وعبد المحسن الحسيني. دار الحرمين- القاهرة.
٤٠- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الآملي (ت: ٣١٠هـ): **جامع البيان في تأويل القرآن**. تحقيق: أحمد شاكر. مؤسسة الرسالة. (ط١) ١٤٢٠هـ.
٤١- طنطاوي، محمد سيد (معاصر): **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**. دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع- القاهرة. (ط١) ١٩٩٧م-١٩٩٨م.
٤٢- الضبي، المفضل بن محمد بين يعلى (ت: ١٦٨هـ): **أمثال العرب**. دار ومكتبة الهلال- بيروت. (ط١) ١٤٢٤هـ.
٤٣- ابن عادل، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي الدمشقي الحنبلي النعماني (ت: ٧٧٥هـ): **اللباب في علوم الكتاب**. تحقيق: عادل عبد الموجود وعلي معوض. دار الكتب العلمية- بيروت. (ط١) ١٤١٩هـ.
٤٤- ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد التونسي (ت: ١٣٩٣هـ): **التحرير والتنوير**. الدار التونسية للنشر/١٩٨٤م.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد(١٢)، العدد(٥)، ص ص ٣٥٢٢- ٣٥٨٩ (شعبان ١٤٤٠هـ / مايو ٢٠١٩م)

٤٥- عبد الرزاق، أبو بكر بن همام بن نافع الحميري الصنعاني (ت: ٢١١هـ): **تفسير عبد الرزاق**. تحقيق: محمود عبده. دار الكتب العلمية- بيروت. (ط١) ١٤١٩هـ.

٤٦- ابن العربي، القاضي محمد بن عبد الله الإشبيلي المالكي (ت: ٥٤٣هـ): **أحكام القرآن**. تحقيق: محمد عبد القادر عطا. دار الكتب العلمية- بيروت. (ط٣) ١٤٢٤هـ.

٤٧- العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن مهران (ت: ٣٩٥هـ): **معجم الفروق اللغوية**. تحقيق: بيت الله بيات. مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين. (ط١) ١٤١٢هـ.

٤٨- ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب الأندلسي (ت: ٥٤٢هـ): **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**. تحقيق: عبدالسلام عبد الشافي. دار الكتب العملية- بيروت. (ط١) ١٤٢٢هـ.

٤٩- علي، جواد (ت: ١٤٠٨هـ): **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**. دار الساقي. (ط٤) ١٤٢٢هـ.

٥٠- العيني، بدر الدين أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى الغيتابي (ت: ٨٥٥هـ): **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**. دار إحياء التراث العربي- بيروت.

٥١- ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني (ت: ٣٩٥هـ): **مقاييس اللغة**. تحقيق: عبد السلام هارون. دار الفكر. ١٣٩٩هـ.

٥٢- الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد الديلمي (ت: ٢٠٧هـ): **معاني القرآن**. تحقيق: أحمد نجاتي وآخرون. دار المصرية للتأليف والترجمة- مصر. (ط١).

٥٣- الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد (ت: ١٧٠هـ): **كتاب العين**. تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي. دار ومكتبة الهلال.

٥٤- القرطبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري الخزرجي (ت: ٦٧١هـ): الجامع لأحكام القرآن. تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش. دار الكتب المصرية- القاهرة. (ط٢) ١٣٨٤هـ.

٥٥- ابن قُرْقُول، أبو إسحاق إبراهيم بن يوسف الحمزي (ت: ٥٦٩هـ): **مطالع الأنوار على صحاح الآثار**. تحقيق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث. وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية- قطر. (ط١) ١٤٣٣هـ.

٥٦- القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك (ت: ٤٦٥هـ): **لطائف الإشارات**. تحقيق: إبراهيم البسيوني. الهيئة المصرية العامة للكتاب- مصر. (ط٣).

٥٧- قطب، سيد (ت: ١٩٦٦م): **في ظلال القرآن**. دار الشروق- القاهرة.

٥٨- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي (ت: ٧٧٤هـ): **تفسير القرآن العظيم**. تحقيق: محمد شمس الدين. دار الكتب العلمية- بيروت. (ط١) ١٤١٩هـ.

٥٩- الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني (ت: ١٠٩٤هـ): **الكليات**. تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري. مؤسسة الرسالة- بيروت.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد(١٢)، العدد(٥)، ص ص ٣٥٢٢- ٣٥٨٩ (شعبان ١٤٤٠هـ / مايو ٢٠١٩م)

٦٠- الماتريدي، أبو منصور محمد بن محمد بن محمود (ت: ٣٣٣هـ): **تأويلات أهل السنة**. تحقيق: مجدي باسلوم. دار الكتب العلمية- بيروت. (ط١) ١٤٢٦هـ.

٦١- الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد البغدادي (ت٤٥٠هـ): **النكت والعيون**. تحقيق: السيد ابن عبد المقصود. دار الكتب العلمية- بيروت.

٦٢- مجاهد، أبو الحجاج بن جبر المكي القرشي المخزومي (ت: ١٠٤هـ): **تفسير مجاهد**. تحقيق: محمد أبو النيل. دار الفكر الإسلامي الحديثة- مصر. (ط١) ١٤١٠هـ.

٦٣- المراغي، أحمد بن مصطفى (ت: ١٣٧١هـ): **تفسير المراغي**. مصطفى البابي الحلبي- مصر. (ط١) ١٣٦٥هـ.

٦٤- مسلم، أبو الحسن بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت: ٢٦١هـ): **المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ (صحيح مسلم)**. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. دار إحياء التراث العربي- بيروت.

٦٥- مقاتل، أبو الحسن بن سليمان الأزدي البلخي (١٥٠هـ): **تفسير مقاتل بن سليمان**. تحقيق: عبد الله شحاتة. دار إحياء التراث- بيروت. (ط١) ١٤٢٣هـ.

٦٦- ابن الملقن، سراج الدين أبو الحفص عمر بن علي المصري (ت: ٨٠٤هـ): **التوضيح لشرح الجامع الصحيح**. تحقيق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث. دار النوادر- دمشق. (ط١) ١٤٢٩هـ.

٦٧- ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي الرويفعي (ت: ٧١١هـ): **لسان العرب**. دار صادر- بيروت. (ط٣) ١٤١٤هـ.

٦٨- النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب الخراساني (ت: ٣٠٣هـ): **السنن الكبرى**. تحقيق: حسن شلبي بإشراف شعيب الأرناؤوط. مؤسسة الرسالة- بيروت. (ط١) ١٤٢١هـ.

٦٩- النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود (ت: ٧١٠هـ): **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**. تحقيق: يوسف بديوي. دار الكلم الطيب- بيروت. (ط١) ١٤١٩هـ.

٧٠- النيسابوري، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي (ت: ٨٥٠هـ): **غرائب القرآن ورغائب الفرقان**. تحقيق: زكريا عميرات. دار الكتب العلمية- بيروت. (ط١) ١٤١٦هـ.

٧١- الهاشمي، أبو الخير زيد بن عبد الله بن رفاعة (ت: ٤٠٠هـ): **الأمثال**. دار سعد الدين- دمشق. (ط١) ١٤٢٣هـ.

٧٢- الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد النيسابوري (ت: ٤٦٨هـ): **الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**. تحقيق: صفوان داوودي. دار القلم- دمشق. والدار الشامية- بيروت. (ط١) ١٤١٥هـ.

٧٣- الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد النيسابوري (ت: ٤٦٨هـ): **الوسيط في تفسير القرآن المجيد**. تحقيق: عادل عبدالموجود وآخرون. دار الكتب العلمية- بيروت. (ط١) ١٤١٥هـ.

٧٤-الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد النيسابوري (ت: ٤٦٨هـ): **أسباب النزول**. تحقيق: عصام الحميدان. دار الإصلاح- الدمام. (ط٢) ١٤١٢هـ.